جامعة زيان عاشور

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

الرقم التسلسلي: .....

الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس

(تحليل محتوى كتاب مجالس التذكير)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي

إعداد الطالب:

مفتاح بن الطيب

مسعود شبيرة

إشراف الأساتذة:

د:بكاي ميلود-مشرفا

د:سحوان عطاالله-رئيسا

د:بوعبداللي نورالدين-مناقشا

السنة الجامعية : 2016/2015

إهـــــــداء

إلى من أوصى الله بهما خيرا كثيرا، وطاعة أبدية فقال:

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (الاسراء:23).

إلى والدي عبد القادر رحمه الله–رحمة واسعة–وقدس روحه وطيب ثراه.

وإلى قرة العين والحنان، ومعراج الحب، الى الوالدة الحبيبة الغالية المعطاءة التي ما بخلت علي يوما بدعواتها المباركة الطيبة أطال الله بقاءها في كنف العمل الصالح، وبارك فيها.

الى إخوتي وأخواتي والزوجة الكريمة وبناتي أميرة رتاج، نور الهدى أريج.

والى كل الأهل والأقارب.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

بن الطيب مفتاح

شكـــــر وتقديـــــر

قال الله تعالى:﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾(النمل:40).

وقال النبي الكريم(ﷺ): ﴿من لا يشكر الناس لا يشكر الله﴾.

وانني لأتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لمن لم يدخر في دعمي لإتمام هذا البحث جهدا أو وقتا مبتدئا بأستاذي المشرف الدكتور: بكاي ميلود حفظه الله ورعاه على نصحه وإرشاده حتى خرجت هذه المذكرة على أفضل صورة ووجه.

ثم الشكر موصول الى كل أساتذتي الذين نهلت من علمهم وكل الأساتذة الفضلاء بالجامعة على تكرمهم وعلى تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة وعلى كل إفادة، أو نصيحة أو توجيه، قدموها لي.

وأخيرا كل الشكر الى قسم العلوم الاجتماعية أساتذة وعاملين.

إهـــــــــداء

إلى من أوصى الله بهما خيرا كثيرا، وطاعة أبدية فقال:

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾. (الاسراء:23).

إلى روح والدي رحمه الله–رحمة واسعة –وقدس روحه وطيب ثراه.

وإلى قرة العين والحنان، ومعراج الحب، الى الوالدة الحبيبة الغالية المعطاءة التي ما بخلت على يوما بدعواتها المباركة الطيبة رحمة الله عليها

إلى إخوتي وأخواتي والزوجة الكريمة و أولادي وإلى كل الأهل والأقارب.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

شبيرة مسعود

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

فهرس المحتويات

فهرس الجداول

المقدمـــة.....أ

الباب الأول: الجانب النظري

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة.....01

1-أسباب اختيار الموضوع.....02

1-1الأسباب الموضوعية: 02

1-2-الأسباب الذاتية 03

2-أهمية الدراسة.....04

3-أهداف الدراسة.....05

4-الإشكالية.....06

5-الفرضيات.....09

6-تحديد المفاهيم.....10

7-الدراسات السابقة.....16

7-1-الدراسات الحرة.....16

7-2-الدراسات الأكاديمية.....22

8-المقاربات النظرية للدراسة.....26

خلاصة.....31

الفصل الثاني: الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس

تمهيد.....33

المبحث الأول: حياة عبد الحميد بن باديس رحمه الله .

-المطلب الأول: ميلاده ونشأته.....34

-المطلب الثاني: تعليمه.....35

-المطلب الثالث: العوامل التي أثرت في تكوين شخصية عبد الحميد بن باديس.....41

-المطلب الرابع: جوانب شخصية عبد الحميد بن باديس.....44

-المطلب الخامس: وفاة عبد الحميد بن باديس.....51

المبحث الثاني: نظرة عبد الحميد بن باديس للتربية والتعليم.

-المطلب الأول: إعطاء الأولوية للبعد التربوي.....55

-المطلب الثاني: المحافظة على الشخصية الجزائرية والدين الاسلامي..... 55

-المطلب الثالث: المزج بين الأصالة والمعاصرة.....56

-المطلب ارابع: التفتح على الثقافات الأخرى.....57

المبحث الثالث: الفكر الإصلاحي للشيخ بن باديس ووسائله.

-المطلب الأول: دعوة بن باديس والنشاط الديني.....58

-المطلب الثاني : وسائل التي اعتمدها ابن باديس والجمعية.....63

المبحث الرابع: الفكر التربوي للشيخ بن باديس من خلال النشاط الجمعوي.

-المطلب الأول: ابن باديس والنشاط الديني.....76

1-1-موقف ابن باديس من بعض الطرق الصوفية العميلة للاستعمار.....77

1-2-موقف ابن باديس من التبشير.....79

2-ابن باديس والنشاط الاجتماعي.....82

3-ابن باديس والنشاط السياسي.....88

3-1-التجنس.....101

3-2-الاندماج.....104

خلاصة.....106

الباب الثانـــــي

الفصل الثالث : اجراءات الدراسة الميدانية

تمهيد..... 110

المبحث الأول: المناهج المعتمدة..... 111

1-المنهج الوصفي..... 111

2-منهج تحليل المضمون..... 112

3-أدوات البحث..... 113

خلاصة : 115

الفصل الرابع: عرض وتحليل ومناقشة الفرضيات

تمهيد..... 117

1-تحليل ومناقشة الفرضية الأولى.....118

2-تحليل ومناقشة الفرضية الثانية..... 124

3-خلاصة.....134

6-الاستنتاج العام.....135

المراجع والمصادر.....

فهرس الجداول

الرقم	العنـــــــوان	ص
01	يبين طرق التعليم حسب ما ورد فغي كتاب مجالس التذكير .	134
02	يبين ترتيب المجالات التربوية التي اهتم بها ابن باديس في كتابه مجالس التذكير	141

مقدمـــــــــة:

إن الدارس لتاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ليدرك الدور الكبير الذي قام بها مؤسسها وأول رئيس لها عبد الحميد بن باديس الذي كرس حياته لمحاربة أخطر آفة تنزل على المجتمعات وتحطم كيانها ألا وهي الجهل، الذي يولد التبعية، والتبعية تمحو الشخصية، وتقضي على الكيان، لذلك أعتبر بن باديس ان العمل التربوي هو أساس كل عمل صلاحي، ومنطلق كل تغيير اجتماعي وثقافي، ومن ثم نهوض فكري وتحرر سياسي، قال بن باديس رحمه الله : انا احارب الاستعمار لأني أعلم وأهذب، فمتى انتشار التعليم والتهذيب في أرض أجدبت على الاستعمار، وشعر في النهاية بسوء المصير.

وهذا ما أردت دراسته في هذه المذكرة ولقد وسمتها ب: الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس واتخذت من كتاب مجالس التذكير نموذجا لها.

لقد راعينا في تقسيم فصول هذه الدراسة أمرين أساسين تعد شروطا في البحوث الجادة والجيدة وهي: الأمر الأول، ان يحيط بكل متغيرات البحث كما وردت في العنوان: الفكر التربوي عند عبد الحميد بن باديس مع التركيز على المجهودات التربوية له.

أما الأمر الثاني، فهو الانتقال عبر الفصول من العام الى الخاص، اذ انطلقنا في الفصل الثاني بعد تحديد الإطار النظري للدراسة.

فالفصل الثاني خصصناه لفكر ابن باديس في التربية والتعليم و وسائلها ونشاطاتها، ومن ثم فقد قسم هذا الفصل الى أربعة مباحث حيث خصصنا المبحث الأول لحياة عبد الحميد بن باديس من ميلاده، ونشأته وتعليمه، والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته، ثم وفاته رحمه الله.

بعد استكمال عرض الجانب النظري من هذه الدراسة تطرقنا الى الجانب الميداني حيث

خصصنا الفصل الثالث للإطار المنهجي للدراسة الذي قمنا من خلاله بالتطرق لمناهج الدراسة وتبرير استخدام مجموعة من المناهج وهي المنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون ومنهج تحليل المحتوى.

وكما تضمن الفصل الرابع الخاص بتحليل محتوى كتاب مجالس التذكير من كلا م البشير النذير لابن باديس، حيث قمنا بتحليل محتوى الفصول التي لها علاقة بفرضيتي البحث، وقمنا بحوصلة المؤشرات الكمية والضمنية في جدولي كمي حتى يسهل علينا قراءتها وكما استخلصنا من النتائج الجزئية المستخلصة من تحليل كتاب مجالس التذكير في استنتاج عام ختمنا به هذه المذكرة.

وإذا كنا قد توصلنا الى بعض النتائج المتعلقة بالتفكير التربوي عند بن باديس مع اتخاذ ابن باديس نموذجا فإننا نقر أن تراث بن باديس وتعدد جوانب شخصيته قد يتطلب مجهودات فرق بحث كاملة تنصب على ما تركه من زخم معرفي هائل لتستخلص منه ما ينفع البلاد والعباد.

أسباب اختيار الموضوع

لقد وقع اختيار البحث لهذا الموضوع لأسباب عديدة، يمكن تصنيفها إلى أسباب موضوعية وأسبـاب ذاتية:

1-1- الأسباب الموضوعية:

- تخصصنا في مجال علم الاجتماع التربوي يدفعنا إلى البحث عن طرق الاستفادة من تراث علماء الجزائر ومربيها، ونقض الغبار عنه لكي يكون لنا بمثابة المشعل الذي يضيء لنا طريق المستقبل لنخرج بهذا النشء إلى بر الأمان، فكما أن الفكر التربوي أخرج رجالا حرروا الجزائر، لما لا نستفيد منه لإنشاء جيل يبنيها ويحافظ عليها.

- أهمية الحقبة التي عاشها المجتمع ابتداء من فترة الثلاثينيات إلى غاية الاستقلال، والتي رسمت أهم الخطوط العريضة للمجتمع الجزائري كمجتمع عربي إسلامي حديث، متمسك بجذوره التاريخية.

- الذي ليس له ماضي ليس له حاضر ولا مستقبل، ومن ثم لا يمكن فهم العديد من مشكلات القطاع التربوي إلا بالرجوع لتاريخ الفكر التربوي في الجزائر، مع العلم ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدارسها ومناهجها وبرامجها التربوية تعد أحد أهم هذه الروافد.

- محاولة وضع قاعدة لدراسات تشمل جوانب أخرى من حياة ابن باديس، هذه الشخصية المتعددة الجوانب فقد كان عالما، مربيا، مفسرا، سياسيا، وهذا الجانب هو الجانب التربوي.

- ندرة الدراسات السابقة التي تبنت مقاربة سوسيولوجية في تحليل الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين عموما وابن باديس خصوصا.

- ما يزال الفكر التربوي في بعض آفاقه يتسم بالسطحية، بالأفكار المتناقضة، وإذا كانت هناك جهود فكرية تربوية لمواجهة الواقع التربوي المتأزم قد دونت وكتبت، فإنها بحاجة اليوم إلى مراجعة وتقويم وإعادة صياغة بما يخدم الفكر التربوي وذلك بفهم هذه الجهود ووضع سائر الضوابط اللازمة لتفعيلها وتحديد الأدوار اللازمة لتنفيذها.

- تعد دراسة تطور الفكر التربوي من الأمور المهمة في البناء الحضاري للمجتمع نظرا للظروف التي يمر بها، فإصلاح الفكر وإعادة التشكيل وتصويب مسار المعرفة لتنضبط بمنطلقاتها وتحقيق أهدافها يستدعي رؤية شاملة ومتوازنة ومتكاملة.

1-2-الأسباب الذاتية:

1- لكل أمة درر من أبنائها سواء كانوا علماء او زعماء أو قادة تشيد بذكرهم وتباهي بمواقفهم وأعمالهم، حتى يتسنى للناس الاهتداء بهديهم، فإحساسي الدائم بعدم إعطاء هاته الدرر حقها، أوجد في نفسي إلحاحا لإنجاز عمل من باب التكريم، والاعتراف بالفضل، إذ لا يشكر الله من لا يشكر الناس، كما ورد في الحديث الشريف.

2-الفضول الذي طالما وجدته لبحث موضوع ذي علاقة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تلك الحركة الإصلاحية التي حفظت الجزائر من سياسة الإدماج

والمسخ التي انتهجتها المستدمر الفرنسي ،وأخرجتها من عزلتها الثقافية ،ووصلتها بأصولها العربية الإسلامية مع المحافظة على الجذور التاريخية لها ، وطهرت الدين الإسلامي من الخرافات والمقدسات الوهمية ، والانحرافات العقدية ، التي علقت من بعض الطرق الصوفية المنحرفة العميلة للاستعمار الفرنسي ، وزرعت بذرة المدرسة التي كونت الإطارات الصادقة والتي رفعت راية ثورة نوفمبر 1954 ، واعتقادي الخاص بأنه لولا جهود علماء الجمعية ، وعلى رأسهم عبدالحميد بن باديس في مجال التربية والتعليم ، وفي مجال الإصلاح الديني ونشر الوعي الاجتماعي والثقافي والسياسي لربما كان تاريخ الجزائر الحديث سيكتب على وجه آخر .

2 - أهمية الدراسة

- تكمن أهمية هذا البحث في كونه من بحوث الفعل التي يمكنها أن تساهم في توجيه القائمين على التربية في بلادنا للاستفادة من فكر ابن باديس في بناء البرامج التربوية في المدرسة الجزائرية، خاصة في المرحلة الحالية التي تعيشها والتي تعرف إصلاحات قد تحتاج إلى قاعدة أصيلة مثل المشروع التربوي الباديسي لتبنى عليها.

- الحاضر غير مبتور الصلة عن الماضي، بل هو استمرار وثمرة له، ومن ثمة التفكير في أي مشروع تعليمي تربوي للمدرسة الجزائرية دون استثمار الزخم العلمي والمعرفي لما قدمه علماء الجزائر ورواد جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم ابن باديس، لن يكتب له الاستمرار ولن يحل الأزمات والاضطرابات التي ظلت تعيشها المدرسة الجزائرية منذ فترة من الزمن.

- فشل العديد من النماذج التربوية التي تمت تجربتها في المدرسة الجزائرية يفرض البحث على طريق آخر تؤسس عليه الاصلاحات التربوية، ولما لا يكون هذا النموذج نابعا من الفكر التربوي لعلماء الجزائر وعلى راسهم ابن باديس رحمه الله
- الوصول إلى المعرفة أسس الفكر التربوي الباديسي ومميزاته واهدافه يساعدنا على حل مشكلة هامة لطالما عانت منها المنظومة التربوية الجزائرية، ألا وهي مشكلة الأنموذج، فمن هو الطفل الذي نسعى لتكوينه؟ وما صفاته وخصائصه. وغيرها؟ فطالما لم نحدد وبدقة هذا النموذج، فإننا سنبقى ندور في حلقة مفرغة لن توصلنا إلا لملامح شرقيين أو غربيين تارة وفي كثير من الفترات الأخرى ليس لهم هوية وملمح له صلة بأصالة أمتنا العربية الإسلامية.

3-أهداف الدراسة

1-إبراز تكامل الفكر التربوي الباديسي من خلال التعرف على المجالات التربوية: الدينية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والصحية والغذائية التي اشتمل عليها هذا المشروع.

2-إبراز تميز المشروع الباديسي عن باقي المصلحين السابقين من حيث اهتمامه الكبير بتربية وتعليم المرأة الجزائرية.

3-الاطلاع على ترتيب الأهداف التربوية عند ابن باديس والتي جعلت من مشرعه التربوي مشروعا متميزا عن باقي المصلحين السابقين.

4-الاطلاع على مدى اعتماد مدارس جمعية العلماء المسلمين عموما وابن باديس خصوصا لمناهج وأساليب تعليمية حديثة بالنسبة لعصره.

5-إبراز ابن باديس باعتباره رائدا من رواد الفكر التربوي الحديث.

6-الاطلاع على الأسس التي أقام عليها ابن باديس فكره التربوي.

وعلى هذا فإن هذه الدراسة تحاول الكشف عن جوانب في المجتمع الجزائري بقيت مجهولة في حقبة السيطرة الاستعمارية ، بسبب التعتيم الإعلامي التاريخي للاستعمار الفرنسي على مستعمراته في شمال إفريقيا ، فهو يقدم مساهمة جادة لدراسة الحركة الإصلاحية التربوية التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ميلادي على يد شيخ المصلحين الإمام محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية ، والشيخ محمد رشيد رضا ، والإمام محمد عبده في المشرق العربي من بعده ، وهذا كله وفق مقاربة سوسيولوجية من جهة ، وبالاعتماد على تحليل كتاب مجالس التذكير من كلام البشير النذير لابن باديس .

4- الإشكالية

إن الدارس لمسيرة التربية والتعليم في الجزائر ، يتبين له الدور الكبير والنشاط الواسع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فنشاطها تميز بالقوة في كمه ونوعه ، حيث فاق دون مغالاة نشاط الإدارة الفرنسية في تعليم الجزائريين خلال قرن كامل ، لقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال أقل من ربع قرن فقط رغم إمكانياتها المتواضعة ، أن تحوي مدارسها حوالي خمسين ألف طفل وبنت من أبناء الجزائر ، وأن تشيد اكثر من 150 مدرسة، وعدد كبير من النوادي الثقافية والمساجد الحرة في كامل أنحاء الجزائر رغم تضييق فرنسا عليها ، ومحاربتها سرا وعلانية لمدارسها ونواديها ، وإغلاقها لعدد كبير منها بين وقت وآخر ، وزجها بالمعلمين والمديرين في السجون والمعتقلات .[1]

[1] رابح تركي عما مرة، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية بالجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981، ص394.

جاء ابن باديس في وضع مميز عاشته الجزائر في تلك الفترة، وقد عرف بكونه متعدد الجوانب فقد كان رجل دين وسياسة وفكر، وذلك تربية، وهو الجانب الذي سنهتم به في هذه الدراسة، من جهة بحكم تخصصنا، ومن جهة أخرى باعتبار أن موضوع التربية والتعليم يعتبر ذا أهمية كبرى، يمكن من خلاله الحكم على تقدم ورقي المجتمعات والحضارات وكذا التنبؤ بمآلاتها ومستقبلها، فالمدرسة هي أهم عامل من عوامل بناء المجتمعات، كما أنها أهم معاول الهدم إذا أريد بها ذلك.

لقد عرفت المدرسة الجزائرية ولازالت تعرف العديد من التغيرات غير أن هذه الإصلاحات التي يتم فيها تبنى نماذج تربوية أثبتت نجاحها في بعض الدول الغربية ، تنم عن تذبذب في النموذج الذي يرجى من وراء العملية التعلمية في المدارس الجزائرية ، هذا النموذج الذي بدا لنا أنه كان واضحا في المشروع التربوي الباديسي من خلال الأهداف التي سطرها ابن باديس في عصره ، والتي كان لها الفضل في المحافظة على الهوية الجزائرية ، فالاستعمار الفرنسي كان استعمارا فريدا من نوعه في ابتكار أساليب مسخ تعاليم شخصية المجتمعات حتى يتسنى له العمر الطويل في وطنها ، ولقد صدق الدكتور محمد عمارة حينما قال : " كانت فرنسا قد شرعت في احتلال الجزائر سنة 1830 ، وأخذت في تثبيت استعمارها لها ، لكنه لم يكن احتلالا كغيره من أشكال الاحتلال ... ولم يكن استعمارا كالذي شهدته ، أو شهده كثير من البلاد في آسيا وإفريقيا ، فهو لم يقف عند اغتصاب المستعمر الدولة والإدارة والحرية والرض والثروة التي كانت للجزائريين على أرض وطنهم ، وإنما ذهب المستعمر الفرنسي ، فأراد سحق الهوية القومية للشعب ، وإلغاء عروبتهم ، لأنها رمز مغايرتهم للفرنسيين ، وهو قد أراد أن يكونوا فرنسيين حتى يكون وطنهم ليس مجرد مستعمرة فرنسية ، وإنما الامتداد الإفريقي للوطن الفرنسي عبر البحر المتوسط .. كما ذهب هذا المستعمر أيضا إلى مسخ الإسلام حتى يزيل طابعه القومي العربي في البيئة العربية

الجزائرية، وينزع منه عوامل المقاومة، فيتحول من شوكة بحلق الاستعمار إلى قيد يثقل خط المناضلين في سبيل الحرية والاستقلال.

ويستطرد الدكتور محمد عمارة قائلا: "ولقد صنع الفرنسيون كل ما يخطر ببال مستعمر استيطاني غاشم لتقيق هذه الأهداف ...فأغلقوا يوم احتلوا البلاد أكثر من ألف مدرسة، وبعد قرن وربع قرن من احتلالهم كانت الأمية في الجزائر 91%. أما الذين كانوا يقرؤون العربية فلم يزد تعدادهم عن 200.000 تعلمت أغلبيتهم الساحقة في المدارس التي أقامها التيار القومي العربي لحركة التجديد والإصلاح كي يقاوم بها أهداف الاستعمار.[1]

وعلى الرغم منكل هذه المجهودات التي قام بها الاستعمار الفرنسي فقد كان المشروع التربوي الباديسي لها بالمرصاد إذا تمكن من المحافظة على الهوية الجزائرية، بل وأنشأ أجيالا حققت الاستقلال للبلاد...

إن الفكر التربوي في أي مجتمع هو حلقة مستمرة ومتتابعة ، فلا يمكن بناء منظومة تربوية قوية تحقق أهدافها بإغفال أحد حلقاتها خاصة إذا كانت الحلقة من مستوى ما قدمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عموما ، وابن باديس خصوصا في إرساء دعائم المدرسة الجزائرية ، ولعل الحكمة تقتضي منا اليوم أكثر من أي وقت مضى البحث عن استخلاص أهداف عملية من المشروع التربوي الباديسي ، وهذا ما حاولنا تداركه في هذه الدراسة من خلال بحث الفكر التربوي عند ابن باديس من حيث أسسه أهدافه مميزاته وأساليب تعليمه ، علنا نستخلص الكيفيات التي يمكن الاستفادة منها من الفكر التربوي الباديسي في الإصلاحات التربوية الحالية والمستقبلية التي تعرفها المنظومة التربوية الجزائرية ، من أجل الخروج باقتراحات قد تفيد العاملين في المجال الاجتماعي والتربوي ، وتحفز الباحثين

[1] مرجع نفسه، ص249.

الأكاديميين على ضرورة نفض الغبار على تراث تربوي هام يمكن أن نجد فيه بعض الحلول لما تعانيه المدرسة الجزائرية اليوم .

انطلاقا من كل ما سبق فقد جاءت هذه الدراسة للإجابة على التساؤل العام التالي:

هل يمكن اعتبار ابن باديس صاحب مشروع تربوي؟ وما هي مقومات الفكر التربوي الباديسي؟

وقد ترجم هذا التساؤل العام إلى التساؤلات الفرعية التالية:

أ- هل يملك الفكر التربوي عند العلامة ابن باديس مناهج وأساليب حديثة تستجيب لمتطلبات العصر الحديث؟

ب- هل يمس الفكر التربوي عند العلامة ابن باديس كل جوانب التربية؟

5-الفرضيات

الفرضية الأولى: اعتمد الفكر التربوي عند العلامة ابن باديس مناهج وأساليب حديثة تستجيب لمتطلبات العصر.

الفرضة الثانية: يمس الفكر التربوي عند ابن باديس كل جوانب التربية.

6-تحديد المفاهيم

تفرض ضرورة البحث تحديد تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسية، وذلك للوصول إلى التوافق في فهم مدلولاتها بين الباحث والقارئ، لذلك قام الباحث بعرض تعاريف أهم مصطلحات هذه الدراسة، وهي كما يلي:

- **التربية**

فالتربية بهذا المعنى هي ذلك الجهد الإنساني الهادف لرعاية الفرد والمجتمع، ويسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل، وتقويم الأخلاق من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان وهي بلوغ الكمال.

قال العلامة ابن باديس رحمه الله:" إن ما نأخذه من الشريعة المطهرة، علما وعملا، فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال حياتنا الفردية والاجتماعية، والمثل الكامل لذلك هو حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سيرته الطيبة "، والتطلع إلى الكمال من الطبائع التي جبل عليها الإنسان، ولكن القدرة على تحقيقه ليست متوفرة لدى كل واحد، وهنا تأتي مسؤولية التربية التي عليها أن تبعث الطموح في النفوس، وتوضح لهم حدود الاستطاعة البشرية، وتكسبهم القدرة العلمية على بلوغ الكمال الممكن المشروع.

- **التعليم:**

التعليم عند ابن باديس هو وظيفة العلماء، اوجبه الله عليهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الخير، وطرق تحصيله وهو ما ذكره في القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم.

والتعليم عند ابن باديس ليس مجرد تلقين المعارف من غير أن يكون لذلك أساس فكري أو غاية تربوية واجتماعية ، إنما التعليم عنده رسالة تربوية هادفة غايتها بناء الذات الإنسانية ، وإعداد الفرد للحياة ، لأن المستوى والمضمون المعرفي الذي يقدم للمتعلمين هدفه إكساب الصفة الأدائية والسلوكية ، أي الأثر الفكري والأخلاقي الذي تحدثه المعرفة ، ومن ثم فوظيفة التعليم تتجاوز الاقتصار على تلقين المعارف وتعليم وسائل إكسابها إلى تربية شاملة

، لذلك فهو حين يتحدث عنه لا يفصله عن التربية ، بل يجعله أحيانا مرادفا لها ، وهو المفهوم الذي استعمله القرآن .[1]

- الإصلاح:

جاء في لسان العرب أن:" الصلاح ضد الفساد، والإصلاح ضد الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه وأصلح الدابة، أحسن إليها"، وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الإصلاح هو: (تغير في نموذج من النماذج الاجتماعية امتلأ في الوصول إلى تحسين ذلك النموذج). وتجمع التعريفات السابقة على ان الإصلاح تغيير لوضع معين، انطلاقا من حالة فساد، والعمل للوصول إلى حالة أفضل أو حالة الصلاح

ولا يختلف هذا الفهم للإصلاح عما ورد في العديد من الآيات القرآنية، التي تدعو إلى إصلاح الفساد، وتحديد الصلاح بالتزام تعاليم الله في القرآن والسنة

والفساد هو الانحراف عنها، لقوله –عزو جل –: ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)) سورة الأعراف 56.

ويفسر أبو بكر الجزائري هذه الآية بقوله: " إن الفساد ضد الإصلاح، ويكون في العقائد والعبادات والأحكام والأخلاق والآداب، كما يكون في الإنسان والحيوان والنبات والمعادن ". أما مفهوم الإصلاح عند ابن باديس هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، فقد التزم ابن باديس في عمله التربوي الإصلاحي، منهج التغيير الإسلامي ويؤكد ذلك قوله: لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم...ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، ولن يصلح تعليمهم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي "، إذن فالتصوير الإسلامي

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968، جزء الثالث، ص340.

بخصائصه ومقوماته كان ركنا رئيسيا في الإصلاح التربوي، إذ ركز ابن باديس على الجانب العقائدي عند الإنسان محاولا تصحيحه بترسيخ العقائد الإسلامية الصحيحة.

- **المواطن:**

مفهوم المواطن (citizen) المعنى يدل على الفرد المشارك، كما أن مفهوم المواطنة (citizenship) يحيل على عملية المشاركة وعلى الفرد المواطن فيها.

أما مفهوم المواطن عند ابن باديس، فلا ينفك عن التصور الإسلامي، هي تجسيد خلافة الله في الأرض، وقد التزم ابن باديس بهذه الغاية في تذكير الإنسان برسالته بالأمانة التي حملها، ونلاحظ هذا من خلال المواد والكتب التي كان يدرسها.

ويبرز مفهوم المواطنة في هذه الدراسة من خلال الكشف عن مميزات الفكر التربوي الباديسي مقارنة بغيره من المصلحين وما مدى اعتبار " المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية " كهدف تربوي، وهذا وفقا لرأي أفراد العينة الذين تم استجوابهم.

- **التغيير:** لقد ورد مصطلح التغيير في المعاجم العربية ليدل على معنى " التحول والتبدل، فتغير الشيء هو تحول وتبدل هذا الشيء بغيره، كما انها تعني الأشياء واختلافها ". وجاء في المعجم الوسيط " غير الشيء، أي بدل به غيره أو جعله على غير ما كان عليه، ويقال غيرت دابتي وغيرت داري، أي بنيتها بناء غير الذي كان، وغير فلان عن بعيره ن أي حط عنه رحله وأصلح من شانه، وغير الدهر، أحواله وأحداثه المتغيرة " . [1]

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، إستانبول، دار الدعوة، 1989، ص 668.

كما أنه لم يرد في المعنى اللغوي أي تفصيل للمنحى، والاتجاه الذي يأخذه التغيير، فالتحول نحو الأحسن يسمى تغييرا، والتبدل أو الانتقال إلى وضعية أسوأ يسمى تغييرا كذلك.

وقد جاء في معجم لسان العرب في شرح ما ورد في حديث الاستسقاء " من يكفر الله يلق الغير، أي تغير الحال وانتقالها من الصلاح غلى الفساد ".

ولعله من التعاريف الأقرب لما تصبو إليه هذه الرسالة هو اعتبار التغيير "عملية مقصودة تتم وفق بواعث ومبررات ووسائل شرعية للوصول إلى أهداف ونتائج تعكس المبادئ ويكون من نتائجه إحداث مواقف جديدة وبرؤية وجوانب أعمق وأوسع للأحداث ".

فابن باديس اعتمد في عمليته التغييرية لإفراغ أفراد المجتمع الجزائري من العادات والسلوكات السيئة وملئهم بالعادات والتصورات والسلوكات الصحيحة، ولهذا فطالما رفع شعار:" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "، واعتبر أن هذا التغيير لا يكون إلا عن طريق التربية والتعليم والإصلاح الديني والاجتماعي.

- **النهضة:** حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي، وتشمل مجالات العلم والدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع وما إلى ذلك، فهذه الحياة الجديدة، وهذا التصور الجديد لإمكانية الفعل التاريخي، ولإمكانية النظر للكون بمنظار جديد، هي السمة الأساسية لما يسمى بعصر النهضة، وهي في الوقت نفسه ليست حركة في ارض مناسبة سهلة، بل إن الحركة التي تقودها النخب تتعرض للاضطهاد والتنكيل والمقاومة، ولكن ذلك جزء من ضريبة هذا الوضع النهضوي الذي يتحرك فيه المجتمع.

- **التنشئة:**

التنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الفرد شخصية اجتماعية تعكس ثقافة مجتمعه، تبدأ من بداية ولادة الفرد مباشرة وتبقى طول حياته، فهي أول من يحول الفرد من كائن اجتماعي، ويساعده تعلمه لكي ينتمي للمجتمع.

وقد اهتم علماء الاجتماع بالتنشئة باعتبارها عملية إكساب الطفل صفة الإنسانية من خلال إدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته. وعرفوها على أنها عملية إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام، عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه، وتوريثه إياه متعمدا من خلال تعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتمي إليه، وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه وغرس معتقداته في نفسه منذ الطفولة، بحيث تصبح إحدى مكونات شخصيته، وبعبارة أخرى هي عملية تشكيل وتغير واكتساب يتعرض لها الطفل في تفاعله مع الفراد والجماعات حتى يأخذ مكانه بين الناضجين وفق قيمهم واتجاهاتهم وتقاليدهم.[1]

وتعرف التنشئة الاجتماعية ايضا بانها عملية تعلم اجتماعي، يتعلم فيها الفرد عن طريق الفعل الاجتماعي ادواره، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الدوار، إذ انه يكتسب الاتجاهات النفسية ويتعلم كيف يسلك بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع.

- **المشروع التربوي:**

خطة تسعى إلى تحقيق أهداف معرفية مهارية ووجدانية تترجمها حاجات ومشكلات يسعى التلاميذ إلى بلوغها عبر عملية منظمة، فالمشروع التربوي هو الرؤية التي يخلقها

[1] سعيد عبد العزيز وجودت عزت عطيوي، التوجيه المدرسي، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

وسط تربوي معين حول نمو التلميذ، وذلك بتسيير تشاور المتدخلين حول التوجهات والقيم التي تحددها والأولويات التي يجب تسطيرها حسب المهمة التربوية المنوطة بالمؤسسة.

إن المدرسة بطبيعتها وبأطرها التربوية والإدارية وتلاميذها، فضاء خاص بالتربية والتعليم يتفاعل مع الوسط الذي يتواجد فيه، والوسط المشار إليه هنا هو المحيط الاجتماعي، والأشخاص الذين يعيش بينهم التلميذ حياته اليومية، ويتميز المشروع التربوي بالخصوصيات التالية:

- المشروع التربوي إجراء ديناميكي: لا يتسم بالجمود لأنه يتطور وينمو باستمرار ويتكيف مع الحاجيات والوقائع الجديدة.
- لكل مدرسة مشروعها: وهو لصيق بواقعها، تفرضها التعليمات الوزارية لكن تخلقه المدرسة وتسهر على تحقيقه وتطبعه بلون محيطها.
- يمكن المشروع التربوي جميع الفاعلين من التفكير : من أجل تحديد القيم والمبادئ التي تؤسس للفعل التربوي ، تنجز المدرسة مهمة التربية و التعليم بواسطة مشروعها التربوي مع مراعاة القوانين والتنظيمات الوزارية والواقع الاجتماعي والثقافي ، فالمشروع التربوي وسيلة للاستجابة لحاجيات التلاميذ وحاجيات المجتمع الذي يعيشون فيه نفس الحين وهو يأتي لتفعيل وتدقيق التعليمات والنصوص الوزارية وملاءمتها مع واقع الوسط الذي توجد فيه المدرسة ، الغاية يعرفها الكل لكن وسائل الوصول إليها تتغير تبعا لحاجيات التلاميذ واولويات المدرسة .

7-الدراسات السابقة:

يفيد استطلاع الدراسات السابقة في توضيح خلفية موضوع البحث ووضعه في إطاره الصحيح وفي موقعه المناسب بالنسبة للبحوث الأخرى، وبيان ما سيضيفه للتراث العلمي، وكذا عدم إضاعة الجهود في دراسة مواضيع لقيت حقها من الدراسات السابقة.

لقد تم تقسيم الدراسات إلى دراسات حرة نشرت في شكل كتب ومؤلفات، ودراسات أكاديمية قدمت كرسائل ماجستير أو دكتوراه سواء في مختلف الجامعات داخل أو خارج الوطن، كما روعي في ترتيب هذه الدراسات العامل الزمني حيث رتبت من الأحدث إلى الأقدم.

7-1 الدراسات الحرة:

الدراسة 1: العياشي عمیار، الخطاب الباديسي قراءة في المجهود والمردود، مقال غير منشور، الموقع: www.dahsha.com تاريخ التصفح: 2011/06/26.

تطرقت الدراسة إلى فلسفة ابن باديس التربوية، وفي هذا الصدد يرى الباحث أن ابن باديس أدرك أن التعليم النافع الذي يوظف بفعالية في رقي المجتمع هو المخرج الوحيد للبلاد، كمت ركز على أهمية أن يشمل هذا التعليم الكبار والصغار، المرأة والرجل.

لقد قام ابن باديس بتحليل واقع المجتمع الجزائري ووضع سنة 1928 بمعية مجموعة من العلماء خريجي الزيتونة خطة عمل تكون أساس الإصلاح التربوي وتقوم على:

- تكوين لجنة من العلماء للتسيير والتنفيذ.
- الشروع الفوري في إنجاز المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.

- الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة والجولان في أنحاء الوطن لتبليغ الدعوة الإصلاحية لجميع الناس.
- الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب.
- تأسيس النوادي العربية للاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات.
- إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد
- العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البد من العبودية والحكم الأجنبي.

والمتأمل لهذه البنود السبعة يقف على مدى ما أولاه ابن باديس من عناية بالغة للإصلاح التربوي والتعليمي على اعتبار أنه حجر الزاوية في كل بناء اجتماعي محكم.

كما يؤكد الباحث على ان ابن باديس اهتم بتعليم المرأة دينها ولغتها ووقف في ذلك بين المتشددين الذين أرادوا حرمان البنات من التعليم وبين المتحررين الذين نادوا برفع الحجاب والستر عنها، باعتبار أن حجاب الجهل أولى أن يرفع، فقد بلغت بنات بغداد وقرطبة وبجاية مكانا مرموقا في العلم وهن متحجبات، فالمرأة تعتبر شقيقة الرجل في الخلقة والتكليف، وشريكته في البيت والحياة، كما انها مسلمة مكلفة عليها من الالتزامات مثل ما لها من حقوق

لقد وجه ابن باديس عناية خاصة للشباب ودعاه إلى الأخذ بأسباب الحياة والرزق من تحصيل العلم النافع وبناء مجد الأمة الجزائرية، وجند كل طاقاته لتنظيم الشباب وتربيته وفق الخطة التالية:

- تكوين جمعيات للشباب.
- تكوين أفواج الكشافة الإسلامية.
- تكوين جمعية إصلاحية مهمتها رعاية الطلبة الوافدين إلى قسنطينة.

لقد اعتمد ابن باديس على تربية الشباب حتى يجعله يستقيم في وطنيته وقومته وعقله وتوجهاته الفكرية.

على الرغم من اهمية هذه الدراسة غير أنها تطرقت لبحث الفكر التربوي من منظور نظري، كما أنها لم تركز على الجوانب التقنية للفكر التربوي الباديسي بشكل كبير، وخاصة تلك المتعلقة بطرق التعليم والبرامج الدراسية وغيرها، لذلك حاولنا في دراستنا هذه تجاوز العموميات في تناولنا للفكر التربوي الباديسي والتطرق لتفاصيل العملية التعليمية التعلمية عند ابن باديس.

الدراسة 2: عبد القادر فضيل، الفكر التربوي الباديسي – الغائب، مجلة الوعي، العدد1، رجب – شعبان 1431. الموافق لـ: جويلية 2010 م، ص 65-69.

يعالج الباحث في هذه الدراسة الفكر التربوي المنسوب إلى عبد الحميد ابن باديس، ويثير أهم الأفكار التي تلقي الضوء على شخصية ابن باديس العلمية، وفلسفته التربوية من خلال أقواله وآرائه وكتاباته، فابن باديس شخصية متعددة الجوانب، ولكن أبرزها وأوضحها هو الجانب التربوي الذي كرس له 27 عاما من حياته متطوعا، إلى جانب المهام الأخرى التي كان يرى أنها مهام مكملة للنشاط التعليمي.

ولقد ذكر الباحث أن ابن باديس اختار في نشاطه الإصلاحي التعليم أسلوبا من أساليب المقاومة، والتحدي لمواجهة سياسة المستعمر التي ترمي إلى مسخ القيم الدينية والوطنية،

وطمس المعالم الثقافية، وقد سعى ابن باديس جاهدا في إيجاد الظروف العلمية، التي تساعد على بناء مشروع تربوي ثقافي سمته الالتزام بالدين والرجوع إلى العقل في المسائل التي يطرحها الميدان.

تطرقت الدراسة إلى بيان مفهوم التربية والتعليم والمعرفة عند عبد الحميد ابن باديس، فالتربية في نظره هي ما يحدثه النشاط التعليمي من تفسير إيجابي في جوانب شخصية المتعلم في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه، فتجعله يحافظ على شخصيته بارتباطه بدينه ولغته ووطنه

وأما التعليم فلا يعتبره ابن باديس مجرد تلقين المعارف دون أساس فكري أو غاية تربوية، وإنما هو رسالة تربوية هادفة لإكساب المتعلم الصفة الأدائية والسلوكية – أي الأثر الفكري والأخلاقي –وهو حين يتحدث عن التعليم لا يفصله عن التربية بل يجعله أحيانا مرادفا لها وهو المفهوم الذي استعمله القرآن.

وأما المعرفة عنده فهي مادة التربية وأداة التثقيف، وتجمع بين ما ندركه عن طريق الأدلة النقلية (العلوم الشرعية، اللغة، التاريخ ...)، وبين ما ندركه عن طريق الأدلة العقلية والحسية، وهي علوم الأكوان والعمران كما يسميها، ويلوم العلماء الذين حصروا جهودهم – في الاهتمام بالعلوم الدينية، وأهملوا في نشاطهم وأبحاثهم العلوم الحديثة التي أوصلت أوربا إلى ما هي عليه.

كما أشارت الدراسة إلى نظرة ابن باديس للإنسان (موضوع التربية)، فالإنسان عنده إنسان بفكره وغرائزه وعقائده وأعماله المودعة كلها في جزئه المحسوس الفاني وهو الجسد، وفي جزئه المعقول الباقي وهو الروح، وبهذه الأصول الأربعة ينهض الإنسان أو يسقط.

ولقد طرحت الدراسة المشروع التربوي في أربعة محاور وهي:

أولا: المبادئ والاتجاهات:

ومن أهم المبادئ التي تشكل العمل التربوي عند ابن باديس ما يلي:

1) النظر إلى التعلم على أنه حق إنساني.

2) التركيز على الفكر الصحيح وتنمية الوجدان السليم.

3) تحقيق التكامل بين الأصالة والمعاصرة، أي بين الاتجاه الذي يرسخ القيم الدينية والوطنية، والاتجاه الذي يأخذ بأسباب التقدم والعصرنة.

4) تتويج الجانب المعرفي النظري بالجانب العلمي وعدم فصل التعليم عن الحياة.

ثانيا: الأهداف والغايات

يهدف المشروع التربوي الباديسي حسب الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1) تلقين المفاهيم الدينية الصحيحة وتعزيز القيم السلوكية.

2) السعي إلى تجسيد الشخصية المتكاملة في الفرد الجزائري، وأركانها، المستوى العلمي، والقدرة على العمل، والخلق السري.

3) تثقيف وتعليم الناشئة وتحريرها من الجهود.

فالسعي إلى تحقيق هذه الأهداف يقود إلى الثمار المرجوة من هذا المشروع التربوي وهي:

- تكوين جيل مشبع بالفكر الإصلاحي.

- المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.
- تحقيق النهضة الفكرية في الجزائر.

ثالثا: المضامين التعليمية:

لقد أشار ابن باديس إلى بعض المعارف العلمية والمضامين التي ينبغي أن تشكل مواد النشاط التعليمي التي تساير الأهداف وتستجيب لها، منها: علوم القرآن الكريم، وعلوم السنة النبوية، باعتبارهما مصدرا التشريع، دراسة العقائد والعلوم الشرعية الأخرى، دراسة اللغة العربية وعلومها، دراسة المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا، ودراسة العلوم الكونية الأخرى، كالرياضيات، والفلك والعلوم الطبيعية وغيرها.

رابعا: الطرائق التعليمية والأساليب التربوية:

وهي تلك الوسائل البيداغوجية التي تستخدم لتلقين المعرفة ولإكساب المتعلم مهارة التعلم ، ويرى ابن باديس أن المعلم الموهوب يختار الطريقة الملائمة ، ويبتكر الأسلوب الفعال الذي يدفع المتعلمين إلى التعلم والتفاعل ، وقد طرح من خلال تناوله بعض جوانب هذا الموضوع جملة من المسائل التربوية هي من صميم توجهات التربية الحديثة في مجال الطرائق ، منها ما انتقده من أساليب التعليم التي كانت سائدة في عصره في المعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهر والزيتونة ، كإفناء الأعمار في اجترار المتون والحواشي ، والاهتمام بالنواحي الشكلية والخلافات العقيمة ، وعدم إعمال الفكر والنظر في أقوال العلماء ، وضعف العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم ، وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالطرائق والأساليب التربوية والتعليمية .

تعتبر هذه الدراسة من اهم ما كتبه الباحثون فيما يتعلق بالجانب التربوي والتعليمي في شخصية عبدالحميد بن باديس ، فصاحبها الدكتور عبدالقادر فضيل من إطارات وزارة التربية الوطنية الأولين ، وقد أفنى عمرا طويلا في خدمة المدرسة الجزائرية ولا يزال بأبحاثه وكتاباته وفيا لمبادئها ، وقد استفدنا منه في توضيح كثير من المسائل التربوية في بحثنا ، وتبقى هذه الدراسة في مصاف الدراسات التحليلية النظرية ، سنحاول التأكد من محاورها بطرق أكثر موضوعية باعتمادنا على المقابلات ومستعينين بالتحليل الكمي ، مع إضفاء الطابع السوسيولوجي على البحث .

7-2-الدراسات الأكاديمية:

الدراسة 6: زيلوخة بوقرة: سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا – رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010.

هدفت هذه الدراسة للوصول إلى الأسس والمبادئ التي قامت عليها الحركة الإصلاحية في الجزائر من أجل تحقيق التغيير الاجتماعي كما سعت للاطلاع على الجهود الإصلاحية التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجال العقائدي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت إلى بعض النتائج نوجزها فيما يلي:

- يعتبر الدين من أهم الأسس التي قامت عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كانت تسعى جاهدة لإعادة التأثيرات الإيجابية للدين في المجتمع.

- الإصلاح الديني في الفكر الإسلامي هو إعادة تفعيل دور الدين في المجتمع من خلال عزل ما لحق به من تشويهات أفقدته وظيفته الاجتماعية.

- من الوظائف المهمة التي يقوم بها الدين في المجتمع وظيفة التغيير الاجتماعي التي لا تتم إلا إذا أثرت الأفكار الدينية في الأفراد أولا، فإذا تغير حال الأفراد تغير حال المجتمع.

- كان لظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر غداة الحرب العالمية الأولى أثر كبير على المجتمع الجزائري.

- تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الممثل الرسمي لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، وهي الأساس الوحيد الذي أعطى للنهضة الجزائرية طاقة الانطلاق نحو الأهداف وهي التي تصدت للمشاريع التدميرية الطرقية والاستعمارية.

- اتسم عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالواقعية المطلقة لارتباطها بواقع المجتمع الجزائري وتواصلها مع أفراده بشكل مباشر، فتمكنت من تشخيص أمراضه واقتراح الحلول المناسبة له.

- حركة الإصلاح الديني في الجزائر فريدة في شكلها وفحواها فهي ليست حركة دينية بالمعنى المألوف ولكنها استقطبت المهام الاجتماعية كلها.

- ففي المجال الديني عملت على تنقية الدين مما لحق به من تشويهات وتحريفات، حاربت الطرقية، وصدت حملات التبشير والتنصير.

- وفي المجال الثقافي عملت على إشاعة العلم والتعليم فأنشأت المدارس والمعاهد في مختلف أنحاء الجزائر، وعملت على أيصال دعوتها الإصلاحية عبر الصحافة.

- وفي المجال السياسي اتبعت أسلوب المرونة وتدرجت شيئا فشيئا في تعاملها مع المستعمر إلى أن حاربت مشروع الإدماج، ثم أظهرت معارضتها لمشروع بلوم فيولت، وقد ساعدت مساعدة كبيرة في إعداد رجالات الثورة.

- وفي المجال الاجتماعي اهتمت بتغير حالة الشباب الاجتماعية، فاهتمت بالإضافة للمدارس، بإنشاء النوادي الثقافية، وشجعت الحركة الكشفية.

يلاحظ أن الدراسة لم تكتف بالجانب الاجتماعي، بل تطرقت لجوانب أخرى دينية وسياسية وثقافية، وعلى الرغم من أهميتها فإن غياب الجانب الميداني كان يمكن أن يجعلها ذات قيمة علمية أكبر، خاصة وأنه بالإمكان القيام بتحليل محتوى النصوص والقرارات التي صدرت عن الجمعية في كل ما يتعلق باهتمامها بالجانب الاجتماعي للشعب الجزائري، وهذا ما حاولنا تداركه خلال دراستنا هذه.

الدراسة 7: سامية جفال: منهجية التغيير عند عبد الحميد ابن باديس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، قسم الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة ،2001.

هدفت هذه الدراسة للكشف عن المعالم الحقيقية للمنهج التغييري الذي نهجه ابن باديس انطلاقا من أقواله ومواقفه وأفعاله ، أي إظهار منهجه وطريقته في البناء وما قدمه من أطروحة إسلامية في التغيير بالتركيز على الأسس التي تقوم عليها المدرسة الباديسية ، وإظهار الصلات الوثيقة والترابط الشديد بين آليات هذا المنهج وقيمته داخل الحركة

الإصلاحية ، والاستعانة بما أطلق عليه من أوصاف ، وقد اعتمدت الباحثة المنهج التاريخي حيث عرضت ما جرى من أحداث تاريخية ذات علاقة بالموضوع ، وبينت آثار ابن باديس الإصلاحية فيما جرى في المجتمع الجزائري . وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج ذات علاقة بالمنهج الذي اتبعه ابن باديس في حركته الإصلاحية ، ومنها : أن ابن باديس ركز عمله في البداية على تغيير فكر المسلم الجزائري وسلوكه ، لأن الحضارة لا يمكن أن تقوم دون هذا التغيير ، ولأن المشكلة التغييرية في المجتمع الجزائري تكمن في الإنسان نفسه ، وليس في الأطر العامة المحيطة به ، كما اتجهت المنهجية الإصلاحية عند ابن باديس على العناية الشديدة بمضمون القومية الشاملة من دين ولغة ووطن وصياغة ذلك على النحو الذي يتم فيه بناء الشخصية الجزائرية المسلمة ، كما توصلت الدراسة إلى أن المنهج الإصلاحي التربوي هو المنهج الغالب في عمل ابن باديس التغييري ، وقد استند في مشروعه على عدة وسائل كالصحافة وبناء المدارس والمساجد والجمعيات من أجل إيصال فكرة التربية بين طبقات الأمة ، كما تميز منهج ابن باديس في التغيير بقراءاته للماضي وغوصه في التاريخ ، والنظر في تجارب السابقين واكتشاف أسباب الحضارة وسنن القوة والوقوف على السنن الاجتماعية ، ورسم خطط مستقبلية بينة الأهداف واضحة المعالم مع مراعاة مبدأ التدرج وفق ما يقتضيه الواقع الجزائري .

لقد أشارت هذه الدراسة بوضوح إلى أهمية الفكر التربوي في الفكر الإصلاحي لابن باديس، وهذا ما يدفع إلى ضرورة اهتمام البحوث الأكاديمية به، وهذا ما سنقوم به في هذه الدراسة.

8- المقاربة النظرية للدراسة:

- نظرية التغير الاجتماعي:

مفهوم التغيير الاجتماعي هو مفهوم مركزي في دراسة فكر التربوي، فالمجتمعات تتحرك، وتنمو وتتطور وهي عرضة للتغير المستر، فكل مرحلة تحمل معها مستجدات أخرى، فنحن في الحياة أمام نهر دافق متجدد يمس مختلف مجالات حياتنا.

ومما لا شك فيه أن هناك ثوابت تتميز بطابع الاستمرارية والديمومة سواء كان ذلك في نطاق المؤسسات والبنى أو في مجال المثل والمعايير، إلا ان المبدأ العام هو مبدأ التغير والحركة، وسعي الإنسان في ملحمة وجوده هو سعي للتوفيق بين الثابت والمتحول، أي الملاءمة بين جوهر المبادئ الخالدة التي تكسب دوامها من سموها وصلاحها وبين مقتضيات تجدد العصر وضغوطاته وتحدياته.

إن الفكر التربوي باعتباره صورة من صور الفكر هو وليد حركة المجتمع وبنيته الأساسية، بحيث تنعكس ظروفه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتشكل اتجاهاته ومساراته بما تتخذه هذه الظروف من مسارات واتجاهات، ومما يكمل هذا النهج أيضا ويكمل هذه الفلسفة، الإيمان بأن الفكر التربوي باعتباره صورة من صور الفكر عامة ليس مجرد مرآة تعكس سلبيا ما يحيط بها، إنما هو يشترط في حركة جدل وتفاعل مع الظروف المحيطة به مثلما يتأثر بها، فهو يؤثر فيها كذلك بحيث يثري خبرة الواقع وينمو بحركة الأحداث. [1]

[1] سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي الحديث، مرجع سابق، ص 5.

وباعتباره الفكر التربوي منظومة فرعية من نظام أكبر هو البنية الاجتماعية، يصبح من الطبيعي أن يتأثر ويتفاعل مع مختلف المتغيرات الحادثة في المسرح الاجتماعي، فهو يتغير بتغيرها، وعليه لا يمكن فهم الوضعية الحالية للمنظمة التربوية في الجزائر دون فهم التغيرات السابقة التي كانت أصلا وأساسا لها، ومن ثم الرجوع إلى ابن باديس باعتباره محطة هامة من المحطات التي شكلت البرامج التربوية لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت منتشرة عبر الوطن.

وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة هنا إلى التغير العنيف الذي عرفه المجتمع الجزائري إبان الوجود الاستعماري، حيث أننا إذا قلنا إن هذا المجتمع أصبح مهددا بالزوال بسبب ضرب الاستعمار لمقومات الشعب الجزائري من دين ولغة ووحدة ومواطنة وأسرة وغيرها.

- **نظرية الفهم لماكس فيبر:**

وفقا لمنظور فيبر وتعريفه للفعل الاجتماعي لا بد من فهم السلوك الاجتماعي، أو الظواهر الاجتماعية على مستويين، المستوى الأول أن تفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم، أما المستوى الثاني فهو أن تفهم هذا الفعل الاجتماعي على مستوى الجمعي بين الجماعات.

ولكي نفهم عمل الفرد وأفعاله وسلوكه الاجتماعي على مستوى المعنى لابد من النظر إلى دوافع الفرد ونواياه واهتماماته والمعاني الذاتية التي يعطيها لأفعاله والتي لم تكمن خلف سلوكه، أي أنه لا بد من فهم معنى الفعل أو السلوك على المستوى الفردي ومن وجهة نظر الفرد نفسه صاحب هذا السلوك.

وبنفس الطريقة لابد من النظر إلى النوايا والدوافع والأسباب والاهتمامات التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعتبر الفرد عضوا فيها، أي أنه لابد لنا من أخذ هذين المستويين في الاعتبار عند دراستنا وتحليلنا لفهم وتفسير الفعل الاجتماعي الإنساني للفرد سواء من خلال مواجهته للظواهر الاجتماعية بنفسه أو من خلال مشاركته للجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها.

من هنا يتضح أن فيبر أعطى لمفهوم الفعل الاجتماعي معنى واسعا بوصفه الموضوع الأساسي للبحث السوسيولوجي من وجهة نظره، فلقد ضمنه كافة أنواع السلوك مادام الفاعل يخلع عليه معنى. وهناك خاصيتين في مفهوم فيبر حول الفعل الاجتماعي ، ففيبر يسلم أولا وصراحة بمدخل ذاتي لنظرية علم الاجتماع وذلك بتركيزه على أن المفهومات النظرية في علم الاجتماع يتعين صوغها في ضوء نموذج محدد للدافعية التي تحرك (الفاعل الفرضي) ، والذي يمثل بدوره تصورا مفترضا ، اما الخاصية الثانية فتتعلق بمدلول مصطلح " فيبر " عن " المعنى " وهو مصطلح اعتبر من المصطلحات التي لعبت دورا في الجدل الذي ثار في ألمانيا حول مسألة التاريخ ومناهج العلوم الاجتماعية عشية ظهور أعمال " ماكس فيبر" ، المهم أنه عندما استخدم هذا المصطلح كان يعني به الإشارة إلى السلوك في ضوء الفرض والمرمى الذي يسعى إلى تحقيقه الفاعل .

ونظرا لتحديد لعلم الاجتماع بوصفه علما عاما وشاملا للفعل الاجتماعي، فغن هذا اقتضى أن يبذل جهدا في تصنيف الأفعال وتنميطها ويقصد بالعام والشامل من وجهة نظره.

وكما أوضح " ريمون آرون " من تحليله لأعمال فيبر ، فهم المعنى الذي يخلعه الإنسان على سلوكه ، وهذا المعنى الذاتي بالطبع هو المعيار الذي على أساسه يمكن تصنيف الأفعال الإنسانية توطئة لفهم بناء السلوك ، إن محاولته لتصنيف الأفعال هذه حكمت تفكيره

لدرجة كبيرة عندما هم بتفسير خصائص واغراض المجتمع المعاصر ، ووفقا لما أتى به يعد الرشد والعقلانية خاصة أساسية للعالم الذي نعيش فيه ، وتفصح هذه العقلانية عن نفسها من خلال علاقتها بالأهداف المحددة ، فالمشروع الاقتصادي مثلا يكون رشيدا عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية ، بل إن المجتمع بكامله يتجه نحو التنظيم البيروقراطي ، وحتى العلم نفسه يعد من وجهة نظر فيبر مظهر العملية العقلية لتي تميز المجتمع الحديث

ولقد وضع فيبر تصنيفا لأنماط الفعل الاجتماعي والتي يمكن الاستعانة بها في بناء النماذج المثالية للسلوك، حيث حدد أربعة أنماط للفعل الاجتماعي وفقا لمساره واتجاهه على النحو التالي:

1) الفعل العقلي الذي له غايات محددة ووسائل واضحة، إذ ان الفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويما عقليا، فالمهندس الذي يصمم مشروعا معماريا والمضارب الذي يحسب ما يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر، كلها امثلة للفعل الاجتماعي الفعلي.

2) الفعل العقلي الذي توجهه قيمة مطلقة: وفي هذا النموذج يكون الفرد واعيا بالقيم المطلقة التي تحكم الفعل، وهي قيم يمكن أن تكون اخلاقية أو جمالية أو دينية، ويوصف الفعل بأنه موجه نحو قيمة مطلقة في الحالات التي يكون فيها مدفوعا لتحقيق مطالب غير مشروطة ومعنى ذلك أن الاعتقاد في القيمة المطلقة واعيا ومتجها نحوها من أجل ذاتها خاليا من أية مطامح خاصة ن ولهذا فهو يختار الوسائل التي تدعم إيمانه بالقيمة.

3) الفعل العاطفي: وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل، والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة فحينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم فباعتبارها تنبع من تيار العاطفة.

4) الفعل التقليدي: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضربا من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائما على هامش الفعل الذي توجهه المعاني، وتحتل أنماط الفعل الاجتماعي هذه أهمية خاصة في النسق السوسيولوجي الذي صاغه ماكس فيبر ويرجع ذلك إلى عوامل منها:

- أن فيبر تصور علم الاجتماع باعتباره دراسة شاملة للفعل الاجتماعي، ومن ثم أصبح تصنيف أنماط الفعل يمثل أعلى مستويات التصور التي تستخدم في دراسة المجال الاجتماعي والمثال على ذلك أن تصنيفه لنماذج السلطة مشتق مباشرة من تحديده لأنماط الفعل الاجتماعي.

- أن علم الاجتماع عند فيبر يستهدف فهم معاني السلوك ومن هنا يجيء أهمية هذا التصنيف كمدخل ضروري لتحليل بناء السلوك.

- وأخيرا فإن تصنيفه لنماذج الفعل يعد إلى حد ما أساس تفسيره للحقبة التاريخية المعاصرة إذ يعتقد فيبر أن الخاصية الأساسية المميزة للعالم الذي يعيش فيه هذه العقلانية.

خلاصــة

لقد قمنا خلال هذا الفصل الهام في المذكرة بتحديد الإطار النظري لإشكالية البحث من خلال تحديد أسباب اختيار الموضوع، أهميته وأهدافه، كما قمنا ببناء الإشكالية وتحديد فرضيات البحث، وعرض الدراسات السابقة الحرة والأكاديمية التي لموضوع الفكر التربوي عند ابن باديس، وبعد تقييم هذه الدراسات واستخراجات الإيجابيات والنقائص التي ميزتها قمنا بعرض المقاربات النظرية للدراسة.

تمهيد

لقد عرفت المجتمعات الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) ، صراعات سياسية وتخلفا اقتصاديا ، وتفككا اجتماعيا ، وركودا فكريا وثقافيا ، وبدأت مع انهيار دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي (1261م)، واجتياح المغول للمشرق الإسلامي ، وسقوط بغداد في يد هولاكو بإيعاز من الشيعي ابن العلقمي (1258م) ، وكانت آخر معاقل الإسلام سقوط غرناطة بالأندلس سنة 1492م، فمنذ ذلك عاشت المجتمعات الإسلامية على هامش الحضارة الإنسانية بأنظمة حكم محلية في ظل توازن عسكري مع العالم الأوروبي يقوم على الآلة العسكرية العثمانية (الجيش الإنكشاري) ، لما يزيد عن ثلاثة قرون (ق10-13 هـ / 16-19م) ، على ان هذا التوازن الهش في القوة بين الشرق (أو العالم الإسلامي) ، وبين الغرب (أي أوروبا المسيحية) ، لم يلبث أن بدا ينهار مع تفكك الخلافة العثمانية ، وبداية تنفيذ المشروع الاستعماري الأوروبي بالأقطار الإسلامية ، وذلك مع غزو نابليون بونابرت لمصر (1798م) ، واحتلال فرنسا للجزائر (1830م).

وانطلاقا من هذا الوضع المتأزم تصبح الحركة الإصلاحية ضرورة تاريخية، بل ظاهرة صحية، حاولت بواسطتها المجتمعات العربية الإسلامية تجاوز واقعها المأساوي للوصول إلى توازن ونمو داخلي يلبي حاجتها الاجتماعية ومتطلباتها الاقتصادية وتطلعاتها الثقافية والسياسية.

والحق أن فكرة الإصلاح لم تكن غريبة عن المثقفين الجزائريين، مادام القرآن الكريم أول من أوحى إلى المجتمع الإنساني بفكرة الإصلاح وتطبيقها وسط المجموعة الإسلامية لقوله تعالى: ((**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)) سورة آل عمران الآية 104.

ومن هنا يمكن اعتبار الإصلاح من بين تعاليم الإسلام الأساسية، لأن جذوره مستمدة من القرآن ذاته، ولأن فكرته منبثقة أيضا من التعاليم النبوية، فجميع المصلحين الذين برزوا في كل عصر يرجعون في معالجة الآفات والمشاكل الاجتماعية ومحاربة البدع والخرافات إلى منابع الإسلام الصحيحة الصافية.

المبحث الأول: حياة العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

. المطلب الأول: ميلاده ونشأته:

ولد عبدالحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة ،عاصمة الشرق الجزائري في ليلة الجمعة منتصف ربيع الثاني 1308 هـ الموافق لـ: 04 ديسمبر 1889 م ، وهو الابن البكر لأبويه ، أسرته أسرة قسنطينة مشهورة بالعلم والثراء والجاه والنفوذ ، والده هو محمد المصطفى بن مكي بن باديس ، من أعيان مدينة قسنطينة ، كان نائبا منتخبا في عدة مجالس ، في المجلس البلدي ، والمجلس الولائي ، وفي المجلس المالي للولاية العامة ، وفي المجلس الجزائري ، واشتغل بالتجارة والفلاحة وأثرى فيها ، وأما ثقافته فكانت ثقافة دينية تقليدية ن يحفظ القرآن الكريم ، ويعرف الضروري من علوم الدين ، محافظا في مظهره وملبسه ، يحب العلم والعلماء ، وكان رحماني الطريقة .[1]

وأمه السيدة زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة عبد الجليل المشهورة في قسنطينة بالعلم والجاه والثراء العريض. [2]

عائلة عبد الحميد مشهورة بالعلم والجاه في الجزائر، وفي المغرب العربي الإسلامي كله، وتنحدر هذه الأسرة من العائلة الصنهاجية التي سطع نجمها في ميدان الإمارة والملك في المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري، منها الأمير زيري بن مناد بن منقوش، أمير صنهاجة التلية، ثم ابنه يوسف ابن زيري الملقب " بولوغين " الذي استخلفه المعتز لدين الله الفاطمي على كامل المغرب بعد إرساله إلى مصر.

[1] عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأم، الجزائر، 2010، ص 32.
[2] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 153.

ومن أسلافه الذين يفخر بهم عبد الحميد بن باديس، المعز لدين الله ابن باديس الذي نصر مذهب أهل السنة والجماعة، ودحر مذهب الشيعة الباطنية وخذلهم، وانفصل عن الدولة الفاطمية بمصر في حدود سنة 404 هـ.

ومن رجالات هذه الأسرة المعروفين، جده لأبيه الشيخ المكي بن باديس الذي كان قاضيا مشهورا بمدينة قسنطينة، وكذا النائب والقاضي أبو العباس احميدة بن باديس. [1]

-المطلب الثاني: تعليمه

تلقى عبد الحميد ابن باديس تعليمه الأول على الطريقة التقليدية، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المداسي، وأتمه وسنه لم يبلغ ثلاثة عشر عاما، وقد كان شيخه معجبا به لشدة ذكائه، واستقامة خلقه، ولذلك قدمه ليصلي بالناس التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة.

قال الأستاذ محمد الصالح الصديق: " ... وإذا كانت طفولته عادية غير متميزة بشيء فإن هناك أمرا يجب أن يلاحظ لأن له ما بعده في حياته، وهو أن والده لم يلحقه بالمدرسة الفرنسية شأن تلاده وأنداده من أهل المدينة، وإنما وجهه للمكتب القرآني ليتعلم القرآن الكريم على الطريقة التقليدية حتى يكون هذا الكتاب السماوي الحصن الذي يعتصم به في حياته، والمنار الذي يرتفع في طريقه، والقاعدة الروحية التي سيبني عليها جهاده الفكري والثقافي والوطني في مستقبله ".[2]

وفي سنة 1903م اختار له أبوه أحد علماء مدينة قسنطينة المشهورين بسعة العلم والتقوى والصلاح، وهو الشيخ حمدان لونيسي، وتلقى عليه العلوم العربية والإسلامية بمسجد سيدي محمد النجار، وكان عبد الحميد ابن باديس يحبه ويقدره ويعترف له بالفضل، وقد لازمه مدة

[1] نفس المرجع، ص 154 - 155.
[2] عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 1، مرجع سابق، ص 155.

ثم هاجر الشيخ حمدان لونيسي إلى المدينة المنورة هروبا من وطأة الاستعمار، ولقد رغب عبد الحميد ابن باديس أن يسافر معه، ولكن أباه منعه ووجهه إلى طلب العلم بتونس.[1]

سافر عبد الحميد ابن باديس إلى تونس سنة 1908م للدراسة بجامع الزيتونة، وعمره تسعة عشر عاما، وعرف فيه بحبه للعلم والجد في طلبه، وتمكن من علوم كثيرة تلقاها من أكابر علماء الزيتونة وبهمته في المطالعة والبحث خارج أوقات الدراسة الرسمية، وقد مكث طالبا في الزيتونة مدة أربع سنوات، وتحصل على الشهادة العالمية في العام الدراسي 1911-1912، وعمره ثلاثة وعشرون عاما، ثم مكث عاما خامسا في تونس قضاها مدرسا في جامع الزيتونة على عادة الطلبة المتخرجين في ذلك الوقت.[2]

لقد تأثر عبد الحميد ابن باديس بشيوخه وأساتذته تأثرا كبيرا أثمرت فيه شخصية محبة للعلم ومجلة ومحترمة للعلماء، ومجدة في طلبه، ومحتملة لمشاقه، ومن أساتذته الذين كان كثيرا ما يذكرهم ويستأنس بأقوالهم وأحوالهم، الشيخ حمدان لونيسي العالم الزاهد الذي أوصاه:" أن يقرأ العلم للعلم لا للوظيف ولا للرغيف "، وأخذ عليه عهدا ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا أبدا حتى لا تكبله بقيودها الثقيلة. [3]

والشيخ محمد النخلي القيرواني عالم جامع الزيتونة ومفسرها، قال عبد الحميد ابن باديس: ". وأذكر منهم رجلين كانا لهما الأثر البليغ في تربيتي، وفي حياتي العملية، وهما مشايخي الذين تجاوزا في حد التعليم المعهود من أمثالهما لأمثالي إلى التربية والتثقيف، والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة، أحد الرجلين الشيخ حمدان لونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها، وثانيهما الشيخ النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمه الله ".[4]

ثم ذكر الشيخ حمدان لونيسي فقال عنه: ". وأني لأذكر لأول وصية أوصاني بها وعهدا عهد به إليَّ، وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجدني مدينا لهذا

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 155.
[2] عبد القادر فضيل ومحمد الصالح الصديق، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 33-34.
[3] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 157.
[4] مجلة الشهاب، عدد خاص، ج 4 – 5، مجلد 14، جويلية 1938، ص 288 – 291.

الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد عليّ ألا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت ".

وذكر شيخه النخلي فقال : " وأذكر للثاني كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية ، وذلك أنني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية ، واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن ، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال ، حتى في دين الله وكتاب الله ، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال : " اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة ، وهذ الأقوال المختلفة ، وهذه الآراء المضطربة ، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح ، فو الله لقد فتح بهذه الكلمات القليلة على ذهني آفاقا واسعة لا عهد له بهما ".[1]

ومن مشايخه الذين تأثر بهم، محمد الطاهر بن عاشور والذي قال فيه:" عرفت هذا الأستاذ في جامع الزيتونة، وهو ثاني الرجلين "الآخر هو شيخه النخلي" اللذين يشار إليهما بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسمو والاتساع في التفكير."، وقال فيه:"... وإن أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت أول ما قرأت عليه، فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت في روحا جديدا في فهم الإسلام ". [2]

ومنهم الأستاذ البشير صفر الذي درس في أوروبا وينطق بعدة لغات، والذي أرجع له عبد الحميد ابن باديس الفضل في معرفته بالتاريخ الإسلامي حيث قال:". وأنا شخصيا أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الغزيرة العلم، هي التي كان لها الفضل في

[1] نفس المرجع، ص 288 – 291.
[2] مجلة البصائر: الستة الأولى، عدد 16، 14أفريل 1936.

اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي، والتي زرعت في صدري هذه الروح انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر ...".[1]

وفي عام 1913م عاد عبد الحميد ابن باديس من تونس إلى مدينته قسنطينة، واحتفلت به أسرته احتفالا كبيرا، وشرع في إلقاء الدروس العامة بالجامع الكبير من الكتاب "الشفاء" للقاضي عياض، ولكن أعداء الإصلاح على تنوع مشاربهم واختلاف أهدافهم حالوا بينه وبين التدريس، فتطلعت نفسه إلى القيام برحلة إلى بيت الله الحرام وزيارة بعض أقطار المشرق العربي.[2]

وتحقق له ما أراد فقصد بيت الله الحرام في هذه السنة لأداء فريضة الحج ، ومكث في المدينة المنورة ثلاثة أشهر حيث التقى فيها بالعلماء والمفكرين ، والتقى فيها بشيخه حمدان لونيسي الذي هاجر قبله بعدة سنوات 1908م، ولقد عرض عليه الشيخ حمدان لونيسي الاستقرار معه في المدينة ، ولكن الشيخ حسين أحمد الهندي الذي تعرف عليه عبدالحميد ابن باديس في هذه الرحلة بالمدينة أشار عليه بضرورة الرجوع إلى الجزائر لخدمة الإسلام والمسلمين بها ، فعمل بهذه النصيحة والمشورة فرجع ، قال ابن باديس :" ... أذكر أنني لما زرت المدينة المنورة ، واتصلت بشيخي الأستاذ حمدان لونيسي المهاجر الجزائري ، وشيخي حسين أحمد الهندي ، أشار عليّ الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة ، وقطع كل علاقة لي بالوطن ، وأشار علي الثاني وكان عالما حكيما بالعودة إلى الوطن ، وخدمة الإسلام فيه والعربية بقدر الجهد ، فحقق الله رأي الشيخ الثاني ، ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته ، فنحن لا نهاجر ، نحن حراس الإسلام والعروبة والقومية بجميع مدعماتها في هذا الوطن ".[3]

[1] مجلة الشهاب، جزء5، مجلد13، جويلية 1937، ص 225-668.
[2] رابح تركي عمامرة، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، مرجع سابق، ص136-.164
[3] مجلة الشهاب، جزء8، مجلد13، أكتوبر1937، ص355.

وفي المدينة المنورة تعرف لأول مرة على الشيخ الجهبذ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله الذي قدم المدينة ليلتحق بوالده المقيم بها، فربطت بينهما صداقة متينة، كانت من أنعم الصداقات وأبركها على الجزائر والعلم والإصلاح. [1]

وقد تلازم الشيخان طيلة ثلاثة أشهر ، وكانا يقضيان وقتهما في الحديث عن الجزائر وطنهما وأوضاعه المتردية ، ويفكران في الطرق الناجعة للنهوض به ، والمحافظة على هوية الجزائريين التي كاد الاستعمار الفرنسي أن يمحي معالمها ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :" ... كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر، ومن مخبآت الغيوب لها ، أن يرد علي بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة أشهر ، أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبدالحميد ابن باديس أعلم علماء الشمال الإفريقي ، ولا أغالي باني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر ...كنا نؤدي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ، ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل ، حتى يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ، ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة ، كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر ، ووضع البرامج المفضلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتها ، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضعة عشرة سنة". [2]

وفي طريق عودته من الحجاز عرج على الشام وعلى مصر، واتصل بالعلماء والمفكرين في هذه الأقطار وتباحث معهم شؤون الإسلام والمسلمين.

وهكذا استطاع عبدالحميد ابن باديس أن يطلع على أحوال العالم العربي ، ولقي في الإسكندرية كبير علمائها الشيخ أبا الفضل الجيزاوي الذي أصبح من بعد شيخ الأزهر ، فتعارفا وتذاكرا وأجازه ، وفي القاهرة لقي مفتي الديار المصرية الشيخ بخيت المطيعي، وكان

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص164.
[2] مجلة الثقافة الجزائرية، عدد خاص بالإبراهيمي وفيه ترجمة ذاتية بقلمه، ص11.

الشاب عبدالحميد يحمل للشيخ رسالة من أستاذه حمدان لونيسي الذي أحسن استقباله ودعاه إلى زيارته في منزله بحلوان ، قال ابن باديس :"...لما رجعت من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام سنة 1332، جئت من عند شيخنا ال علامة الشيخ حمدان لونيسي المهاجر إلى طيبة ، والمدفون بها رحمه الله بكتاب إلى الشيخ بخيت وزرته ببيته بحلوان مع صديقي الأستاذ إسماعيل جغري المدرس اليوم بالأزهر ، فلما قدمت له كتاب شيخنا حمدان قال لي : " ذلك رجل عظيم ، وكتب لي إجازة في دفتر إجازتي بخط يديه ".[1]

يتضح لنا مما سبق أن الشيخ عبد الحميد نشأ نشأة صالحة، وتلقى أحسن تربية وتعليم من طر ف أسرته المحافظة، حيث وفرت له المناخ التربوي العربي الإسلامي الجزائري، الذي ساده الأدب الرفيع، والأخلاق النبيلة، والسلوك المستقيم، والمحافظة على الشعائر الدينية وتقديسها، كما ورث من أسلافه الروح الوطنية وحب الجزائر، كما أن إمكانيات هذه الأسرة الثرية مكنته من التتلمذ على أساتذة وعلماء عرفوا باستقامة أحوالهم وتقواهم وسعة علمهم وشهرة سمعتهم وصدق وطينتهم.

والواقع أن عبدالحميد ابن باديس قد تهيأت له ظروف مواتية حصل بها عل تربية مثالية وتعليم عال صقلت مواهبه الفطرية ، وكان العناية الإلهية التي وفرت له تلك الظروف كانت تعده لمهمة كبرى في مستقبل قريب ألا وهي قيادة حركة التجديد الإسلامي في الجزائر ، والمغرب العربي الإسلامي ، والعمل على بعث العروبة والإسلام في الجزائر اللذين عمل الاستعمار وأذنابه من رجال الطرق ودعاة الإدماج على محاولة وأدهما ، ولكن الله سلم ، واستطاع الشيخ ابن باديس أن يفشل خطط الاستعمار ويرد كيده ، وانتصر الإسلام والعروبة في بلاد الجزائر .

[1] مجلة الشهاب، جزء11، مجلد11، ففيفري1936، ص106-.107

ـالمطلب الثالث: العوامل التي أثرت في تكوين شخصية العلامة ابن باديس:

شخصية الشيخ ابن باديس فذة متعدد الجوانب، متنوعة المواهب، فقد توفرت لها مؤهلات من النادر أن تجتمع في شخصية واحدة.

فهو عالم ورع فقيه بصير، معلم موهوب، مجدد في أساليب التعليم، وصاحب مذهب في تفسير كتاب الله، وزعيم من زعماء الفكر الإصلاحي في الجزائر، وفي العالم العربي الإسلامي، له آراء ومواقف في الدين والسياسة، وهو كاتب بارع وخطيب بليغ فصيح.

إن الذي يتبع حياة ابن باديس يشهد له بالإمامة في العلم والدين ، والبصيرة في الحياة ، والريادة في الإصلاح الاجتماعي والنضال السياسي ، كيف لا وهو الابن البار لعائلة ابن باديس العريقة ، فقد كان عالي الهمة ، واسع المعرفة ، حاد الذكاء ، مدركا لمشاكل وطنه وأبناء وطنه ن صحيح الاعتقاد ، وطهره من جميع أنواع الشرك ، وأصناف البدع والخرافات ، وحارب الجهل والأمية والجمود الفكري الذي كان سائدا في المجتمع الجزائري ، وأحيا اللسان العربي الذي عمل الاستعمار الفرنسي على استبداله بلغته ، وغرس الروح الوطنية وحب الجزائر في نفوس أبنائها ، فأفسد خطط المستعمر ، ورد كيده بفضل الله تعالى .

وقد ملأت سجايا ابن باديس قلوب كل من اطلع على مسيرته، فقد جمع بين عظمة العلماء وهيبة الحكماء وزهد الأغنياء وحلم الأقوياء، لذلك أجمع الكل على حبه وتقديريه، وحتى أعداؤه كانوا يجلونه ويحترمونه.

لقد تأثرت شخصية ابن باديس رحمه الله بعدة عوامل تضافرت في صقلها وجعلتها شخصية متكاملة فذة، غيرت مجرى الحياة في الجزائر، ولقد أشار إلى هذه العوامل التي كان لها الفضل فيما بلغه من مكانة علمية واجتماعية وسياسية مرموقة في خطاب له بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم في احتفال حاشد بمدينة قسنطينة سنة 1938م، فهو فاضل اعترف بالفضل لمن رآهم أهلا له، وقال – رحمه الله –: ". أنا رجل أشعر بكل ماله أثر في حياتي، وبكل من له يد في تكويني، وإن الإنصاف ليدعوني أن أذكر في هذا الموقف المجيد

والتكريم كل العناصر التي لها الأثر في تكويني حتى نأخذ منها حظا مستوفى من كل ما أفرغتم علي من ثناء ومدح ... وإني أشهد أن التحضير عسير علي، ثقيل على حمله، فلعلي إذا ذكرت هذه العناصر توزعت حصصها من التنويه، وتقاضت حقوقها من الثناء، الذي أثقلتم به كاهلي، فأكون بذلك قد أرضيت ضميري، وخففت عن نفسي ".

ثم عدد هذه العناصر ورتبها في نظام بديع، ونحن نذكرها كما وردت في خطابه:

أولا: توجيه والده، وتربيته له تربية صالحة، وخلقية فاضلة، وكفاه مؤونة الحياة، ومنعه من بطش الإدارة الفرنسية، قال ابن باديس:" إن الفضل أولا يرجع إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة ".

ثانيا: نصح أساتذته وتوجيههم، فقد تأثر بأساتذته ومشايخه الجزائريين وغيرهم، وشهد لهم بالعلم والاستقامة وصدق النصيحة والتوجيه قال فيهم:" ثم لمشايخي الذي علموني العلم، وخطوا لي مناهج العمل في الحياة، ولم يبخسوا استعدادي حقه ".[1]

ثالثا : مؤازرة ومعاونة إخوانه العلماء له منذ الإشعاع الأول للنهضة ،والبذرة الأولى للدعوة الإصلاحية ، فرغم تباعد منازلهم في الجزائر الشاسعة إلا أن صفاء المشرب ووحدة المبدأ جمعتهم فتآلفت قلوبهم ، فتآزروا وتساندوا من أجل احتضان **الحركة الإصلاحية السلفية** بقيادة عبدالحميد ابن باديس وتحملوا معه المشاق وخففوا من وطأة المسؤولية عليه ، قال فيهم :" ثم لأخواني العلماء الذين آزروني في العمل من فجر النهضة إلى الآن ، فمن حظ الجزائر السعيد ، ومن مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلدان الإسلام (اليوم) فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء ، وافرة الحظ من العلم ، مؤتلفة القصد والاتجاه ، مخلصة النية ، مثنية العزائم ، متحابة في الحق، مجتمعة القلوب على

1مجلة الشهاب، جزء4-5، مجلد15، جوان جويلية، نفس المرجع، ص288-291.

الإسلام والعروبة، قد ألف بينها العلم والعمل ، مثلما اجتمع في الجزائر في علمائها، فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادي ، وتأثر بطارفهم تلادي ، أطال الله أعمارهم ، ورفع أقدارهم ".[1]

رابعا : معاونة الأمة الجزائرية له على الخير، واحتضانها الدعوة الإصلاحية وبذلها الغالي والنفيس من أجل تحقيق أهدافها وغايتها ، قال ابن باديس: "... ثم لهذه الأمة الكريمة المعاونة على الخير، المنطوية على أصول الكمال ، ذات النسب العريق في الفضائل والحسب الطويل العريض في المحامد ، هذه الأمة التي ما عملت يوما – علم الله – لإرضاء ذاتها ، وإنما عملت وما أزال أعمل لإرضاء الله بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سدد في الفهم ، وأرشدها إلى صواب الرأي ، فتبينت قصدي على وجهه ، وأعمالي على حقيقتها ، فأعانت ونشطت بأقوالها وأموالها وبفلذات أكبادها ، فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي ".[2]

ولقد كان لهذا العنصر أثر كبير في تكوين شخصية الشيخ ابن باديس فقد عرف بحبه لوطنه الجزائر وأظهر ولعه بأبناء وطنه الجزائريين، فيستشعر في ثنايا كلامه عنهما، وفي اختياره الألفاظ عند ذكرهما مصبوغة بحنين دقيق واحترام وإكبار عظيمين، لذلك كان يحتقر أعماله في سبيلهما، رغم عظمتهما، فقد كان يصل ليله بنهاره مجتهدا من اجل المحافظة على مقومات هذا الشعب وتحريره من قيود الاستعمار والعبودية، ومما قاله في مجلة الشهاب سنة 1937م تحت عنوان: " لمن أعيش": ". أما الجزائر فهي وطني الخاص، الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض على تلك الروابط لأجله كجزء منه فروضا خاصة، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة، وكما أنني كلما أردت أن أكمل عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله، وإلى ماله، وإلى حاله، وإلى آلامه ن كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه ".

[1] نفس المرجع، ص298-291.
[2] مجلة الشهاب، جزء4-5، مجلد15، جوان جويلية، نفس المرجع السابق، ص288-291.

خامسا : تدبره لكتاب الله تعالى ...، قال ابن باديس:"... ثم الفضل أولا وأخيرا لله وكتابه الذي هدانا لفهمه ، و التفقه في أسراره، والتأدب بآدابه ، وإن القرآن الذي كون رجال السلف ، لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف، لو أحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على مناهجه ... فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم ، وغايتنا التي تستحق أن يكون القرآن منهم ، رجالا كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين، تعلق هذه الأمة آمالها ، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها [1]."

لقد أمضى ابن باديس الجزء الأكبر من حياته العلمية في تدبر كتاب الله تعالى – وتفسيره للناس في الجامع الأخضر بقسنطينة مدة خمسة وعشرين سنة (1913–1938)، ورغم كثرة شواغله التربوية والاجتماعية والمشاكل السياسية، وهذا لقناعته بأنه لا فلاح ولا صلاح للمسلمين إلا بالرجوع لكتاب الله تعالى – والعمل بأحكامه والتحلي بفضائله، لذلك اعتمد في تربيته الأجيال عليه لأن من وصفهم بـ:" القرآنيين " هم الذين ينقذون الأمة الجزائرية من ظلمات وذل العبودية، ويكتبون تاريخ الجزائر الحديث.

-المطلب الرابع: جوانب شخصية العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس:

شخصية عبدالحميد ابن باديس شخصية خصبة تشتمل على جوانب متعددة يحدثنا عنها أعرف الناس به ، صديقه ورفيق دربه الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله فيقول : " عبدالحميد ابن باديس عظيم بأكمل ما تعطيه هذه الكلمة من معنى ، فهو عظيم في علمه ، عظيم في أعماله ، عظيم في بيانه وقوة بحثه، عظيم في تربيته وتثقيفه لجيل كامل ، عظيم في مواقفه من المألوف الذي صيره السكوت دينا ، ومن المخوف الذي صيره الخضوع إلها ، عظيم في بنائه وهدمه، عظيم في حربه وسلمه ، عظيم في اعتزازه بإخوانه ، ووفائه لهم ، و عرفانه لأقدارهم، وإذا كان من فوارق العادات في العظماء أنهم يبنون من

[1] نفس المرجع، ص424-428.

الضعف قوة ، ويخرجون من العدم وجودا ، وينشؤون من الموت حياة ، فكل ذلك فعل عبدالحميد بن باديس من الأمة الجزائرية ".[1]

وقال عنه أيضا مظهرا جوانب شخصيته من خلال سجاياه وأعماله في جريدة البصائر في مقال عنوانه :" الرجال أعمال " :" بأنى النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق ، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا ، وإمام الحركة (الدعوة) السلفية ، ومنشئ مجلة " الشهاب " مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومحيي دوارس العلم بدروسه الحية ، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن ، وغارس بذور الوطنية الصحيحة ، وملق مبادئها ، عالم البيان ، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس عبدالحميد ابن باديس ، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم ، رحمه الله ورضي عنه ".[2]

وتظهر خصوبة وعظمة عبد الحميد ابن باديس في عدد من المور نذكر منها:

1) يعتبر عبد الحميد ابن باديس باعث الحركة الإصلاحية في الجزائر، وهذه المدرسة ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وكان من روادها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (1796-1891)، جمال الدين الأفغاني(1838-1897)، محمد عبده(1849-1905)، الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935).
2) وهو مفسر جليل للقرآن الكريم على طريقة السلف الصالح، قال الإبراهيمي بمناسبة ختم ابن باديس لتفسير القرآن:" أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس التفسير لكتاب الكريم درسا على الطريقة السلفية، وكان إكماله إياه على هذه الطريقة خمس وعشرين سنة متواليات مفخرة مدخرة لهذا القطر، وبشرى عامة لدعاة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي كله ".

[1] احمد طالب الابراهيمي، آثارالامام البشير الابراهيمي، مرجع سابق، ص589.
[2] احمد طالب الابراهيمي، آثار الامام البشير الابراهيمي، جزء3، مرجع سابق، ص552.

وقد كان منهجه في التفسير يعتمد على تفسير القرآن للقرآن ، وعلى بيان لسنة النبوية الصحيحة ، ثم على اللسان العربي ، مشيرا إلى قضايا عصره ، متبصرا بها ، قال الإبراهيمي:" يمده إلى جانب ذلك ذوق خاص في فهم القرآن الكريم كانه حاسة زائدة خص بها ، يرفده بعد الذكاء المشرف، والقريحة الوقادة والبصيرة النافذة بيان ناصع وإطلاع واسع وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع مديد في علم الاجتماع ، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه ، يمد ذلك كله شجاعته في الرأي ، وشجاعته في القول ، لم يرزقهما إلا الأفذاذ المعدودون في البشر ".

3) وهو معلم ومرب من طراز عال وفريد ، استطاع ان يعلم ويربي مجتمعا بأكمله فقام بثورة في المفاهيم والأفكار وأصول الأخلاق ، وحارب الأمية ، وأعد جيشا من الجزائريين ينتسبون إلى العلم الصحيح ، ويتحلون بفضائل الأخلاق ، مع تجديد في مناهج التعليم والتربية ووسائلهما ، وهذا رغم الظروف الشاذة التي كانت تعيشها الجزائر ، قال العلامة الإبراهيمي رحمه الله :" ... وقد كانت لدروس الأخ الأستاذ ابن باديس – ولا نكران للحق – أقوى الآثار في تكوين هذه الملكات وتقويم هذه الألسنة وتثقيف هذه الرماح ، فمن تلامذته كتاب قطر الندى اليوم ، ومن تلامذته شعراء قطر الندى ، ومن تلامذته المفكرون والدعاة الذين هم دعائم الحركة الإصلاحية ". وقال عنه أيضا وهو أعلم الناس بأحواله واعرفهم بشخصه:" ...تذاكرنا مرة في إقامة حفلة تكريم لرفيقنا الأستاذ بن باديس تنويها ببعض حقه على العلم وشكرا لأعماله الجليلة وآثاره الحميدة في التعليم وأشدنا اضطلاعا به واكثرنا إنتاجا وتخريجا فيه ..."[1].

4) وهو أديب وكاتب كبير يمتاز بأسلوبه بالسلاسة والعذوبة والسهولة ، لا يستخدم السجع ، ولا يتكلف المحسنات البديعية ، وإنما يسير مع طبعه ، يسجل أفكاره ومشاعره بأسلوب مرسل لا تكلف فيه ، أما نثره فيمتاز بالإيجاز والتركيز وقوة العبارة وقصر الجمل وعمق المعاني ،

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، مرجع سابق، ص 153.

وقد تأثر أسلوبه بنوع الكتب التي كان يدرسها لتلامذته في الجامع الأخضر بقسنطينة مثل كتاب الأمالي لأبي علي القالي ومقدمة ابن خلدون ونهاية الإرب للنويري ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد ، ديوان المتنبي وكتاب الموطأ للإمام مالك ، ثم تأثر أسلوبه أكثر بالقرآن الكريم الذي كان دائم التلاوة والدراسة له ، وهو كتاب العربية الكبر وقمة بلاغتها وبيانها . وإلى جانب مقدرته النثرية فهو شاعر موهوب – وإن كان مقلا–إلا أنه ينظم قصائده بدم قلبه، وأغلب ما كتب من الشعر في حب الإسلام والعربية والوطن، لإيقاظ الهمم وتعبئة النفوس وبعث الروح الوطنية. [1]

وأما أسلوب ابن باديس التي يعتبر أحد بناتها في الجزائر ومن أول من أرسوا دعائمها عبر جرائده المنتقد والصراط السوي والشهاب قبل تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فيمتاز بقوته مع قصر الجمل وعمقها وطافح بالسخرية اللاذعة ضد خصومه عندما يتعلق بالمساس بمقومات الأمة من دين ولغة ووطن سواء كانوا جزائريين أو أجانب.

5) كما يتمتع ابن باديس بموهبة الخطابة والتأثير على المستمعين وجلب انتباههم وإقناعهم بوجاهة ما يدعو إليه ، وهذه الميزة هي إحدى عوامل نجاح وانتشارها ، فبالكلمة الصادقة والفكرة الصحيحة والأسلوب القويم استطاع أن يجمع الشعب الجزائري رغم اختلاف طبقاته ومستوياته الاجتماعية والثقافية على المبادئ الثلاثة :" الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا " ، ولإظهار مدى براعة ابن باديس في الخطابة نورد وصفا له لإحدى الجرائد الفرنسية التي تصدر بتونس le petit matin في عددها الصادر بتاريخ 19 ماي 1937 عندما ألقى خطابا بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الأستاذ البشير صفر بدعوة من الجمعية الخلدونية ، فورد في الجريدة :"... ولقد وقف للمشاركة من الجزائر في هذه الحفلة عبدالحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والشيخ عبدالحميد ابن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب ، فهو قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته الناري يستفز الجماهير ، فيثير

[1] رابح تركي عمامرة، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، مرجع سابق، ص 179.

الحروب ، أو ينزل في القلوب سكينة السلام ، وهو الرجل الذي وصل في القطر الجزائري إلى درجة التقديس، وتسير وراء خطواته تسعة أعشار الأمة، أما سمعته فقد اخترقت البحار، وأصبح الشرق يعتبره من أكبر رجاله ، وكان أثناء خطابه يشير بذراعيه العاريتين إشارات هي في آن واحد إشارات الذي يبارك ، وإشارات الذي يقتل ،وتصحب إشارات نبرات صوت عالية ، تخترق أحيانا طبقات الفضاء، وتكتسي أحيانا أخرى هدوء العظمة والجلال ، وأن نبرات صوته لتنتزع منك الإعجاب انتزاعا ، ثم تبحث من صدرك ما أنت مقتنع به من رأي ، وتجعل منك عبده وملك يمينه ، فيكفيك كما يريد ، حسب فكره النير، ثم يجعلك تحس بإحساسه ، وتفكر بتفكيره ، وطالما تكون مقتنعا بعكس أفكاره ، فإذا ما رجعت إلى نفسك وفكرت في الذي سمعت منه ، وجدت أفكاره حقائق متينة لا تدفعها حجة ، وأخيرا إنه لرجل قادر وإنه لمنوم ساحر ... يستطيع أن يجعل منها أسرابا من الطيور الكاسرة ، أو قطيعا من الخرفان ، وهذا ما نستطيع أن نصف به هذا الرجل الخارق للعادة ". [1]

6) كما أن لابن باديس سجايا كثيرة جدا لا يلمسها إلا من عرف الرجل ، وقد نقل بعض المقربين إليه مواقف له تظهر عظمة شخصيته ، ننقل منها ما نقل الأستاذ محمد صالح الصديق في مجلة الوعي في عدد خاص بالإمام عبدالحميد ابن باديس في مقال بعنوان:" نماذج للاقتداء: الإمام عبدالحميد ابن باديس": قال:"... في أوائل سنة 1940م حينما كانت رحى الحرب تدور في النرويج ،وفرنسا تكاد تنحدر فيها ، التقى معه في مكتبه بدار التربية والتعليم جماعة من بينهم الشهيد أحمد بوشمال ، والشيخ عبدالحفيظ الجنّان ، فقال الإمام في معرض الحديث عن الحرب الدائرة:" والله لو كنت متيقنا أنه يوجد عشرة من عقلاء الأمة يوافقوني على إعلان الثورة على فرنسا لفعلت ".

وحدثني أحد تلامذته قائلا:" في درس ما جلس أحد الطلبة في الصف الأول أمام الشيخ وقد لبس برنوسا من نوع "الملف" فتأمله جيدا، ثم قال: –والابتسامة تعلو محياه – أنا والله أفضل

[1] مجلة الشهاب، ج 5، مجلد 13، أكتوبر 1937، ص 228-230.

أن ألبس البرنوس الذي تحيكه أمي، وليس الذي تنسجه ضرتها، ويعني الإمام – طبعا – تقديم البضاعة الوطنية على الأجنبية.

وحدثني المرحوم الحاج شريفي عمرو صاحب المكتبة الجزائرية بشارع باب عزون سابقا ، وكان ممن عاشر الإمام بقسنطينة ، وعرف عنه الكثير ، وقال ما مؤداه:" خرج الشيخ من مقصورته بجامع سيدي قموش بقسنطينة ذات يوم ، فطلب من السيد زواوي مولود – وهو تاجر بني عباس ، وممن لهم اتصال وثيق بالشيخ– أن يبحث عن من يشتري له نصف لتر من اللبن وأعطاه آنية فرآها فرصة لإكرام الشيخ ، فذهب بنفسه إلى شواء ، واشترى له صحنا من اللحم الطري ، فعاد إلى الشيخ وهو يهتز فرحا ، ولما قدمه إليه استشاط غضبا ، فرفض أن يتناوله ، وقال له في لهجة شديدة حازمة –:" ألا تعلم أنني ابن مصطفى باديس ، وأن أنواعا مختلفة من الطعام تعد كل يوم في بيته لو أردت التمتع بالطعام ، ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك وطلبتي يسيغون الخبز بالزيت ، وقد يأكله بعضهم بالماء ".

وحدثني المرحوم عيسى قدور – وهو من طلبة الشيخ الذين لازموه، وأخذوا عنه وتأثروا به – بما مؤداه وملخصه، جاء إلى الشيخ سنة 1933م أخوان شقيقان من جبل الوحش للدراسة دون علم والدهما الذي كان من الطرقيين المحاربين للشيخ لاعتقادهم أنه عدو للدين، لأنه يحارب البدع والخرافات التي يعتقدون أنها الإسلام، ولما علم الوالد بأمر ولديه اسودت الدنيا في وجهه، وكتب إليهما رسالة تلتهب حنقا وغضبا، يعلمهما أنهما عاقان له ومحرومان من إرثه، وأنه بريء منهما إلى يوم الدين إلا إذا تابا وعادا إلى البيت.

كانت الرسالة بمثابة صاعقة ارتج لها الطالبان ، ولِمَا كان يعرفان مكانة الشيخ عيسى عند شيخه ابن باديس أسرعا وبثاه حزنهما ، فما كان منه إلا أن أطلع شيخه على الرسالة فتأثر بالغ التأثر، وقد حن في نفسه أن يُحرَم الولدان من نور العلم نتيجة الجهل ، وقال له أرجئ الأمر إلى يوم الراحة ، وفي يوم الراحة "الخميس"، ذهب الإمام بالولدين رفقة الشيخ عيسى إلى دارهما ، فما إن رأى والدهما الإمام حتى اندهش وتأثر وأسرع إليه خطاه وهو يقول: من

انا حتى يأتيني الشيخ ابن باديس ، وأخذ يقبل رأسه في تأثر وانفعال ، ثم ترجى الشيخ في عبارات مؤثرة أن يدخل الدار ويتناول الغذاء على مائدته ،فقبل الشيخ ذلك ولكن شرط أن يرضى عن ولديه ويسامحهما ، فقال الرجل: قد عفوت عنهما ، وأنهما منذ الآن ولداك ولن يتخلفا عنك ، ثم مد يديه إلى السبحة في عنقه فقطعها ،وهو يقول :" لعن الله هذه السبحة التي كادت تدخلني النار " ، فقال له الشيخ :" إن السبحة لا تضر ولا تنفع ، ولم أقل يوما لم تسبحون بالسبحة، وإنما أقول اتقوا الجهل فإنه أضر بالإنسان من الطاعون ".

وبعد تناول الطعام تبرع الرجل بعشرة آلاف فرنك، وتعهد لهم بهذا المبلغ، وبثلاثين فنطارا من القمح كل عام، وعاد الشيخ الإمام بالولدين ليواصلا دراستهما في هذه المدرسة نتيجة هذا السلوك الإنساني والدرس البليغ. [1]

7) وأخيرا يتضح لنا مدى همة ابن باديس وصبره، وتفانيه في العمل في سبيل الإسلام والجزائر، حيث صدق عندما طرح السؤال على نفسه في محاضرة ألقاها على أعضاء جمعية التربية والتعليم سنة 1937م حيث قال: "لمن أعيش" ثم أجاب " أعيش للإسلام والجزائر "، وسنستعرض مجهود يوم واحد كان يعيشه هذا الرجل الذي بعث الحياة في الأمة الجزائرية بعد أن فرضت عليها فرنسا الموت البطيء.[2]

كان ابن باديس كعادته في كل يوم يسرع إلى الجامع الأخضر قبل الفجر ، وبعد أن يصلي الصبح مع الجماعة ، يشرع في دروسه لطلبة المسجد ، فبدأ يدرس الحديث في الموطأ للطلبة الكبار، وكانت العامة تحضره ، فيستمر إلى ما قبيل طلوع الشمس، فينهض آنذاك إلى حجرة مخصصة له في المسجد ، يتناول القهوة وفطيرة خفيفة ، ثم يعود إلى ساريته في المسجد مع الشروق ، ويبدأ بتقديم دروسه لطلبته في مختلف العلوم، وكان يستمر جالسا بينما الطلبة يتعاقبون على دروسه صفا بعد صف ، حتى قبيل الظهر ، فيلقى آنذاك درسا على العامة الذين حضروا لصلاة الظهر ، ثم يصلي الظهر وينطلق إلى أعماله في إدارة

[1] عبد القادر فضيل، **الفكر التربوي الباديسي – الحاضر الغائب** – مرجع سابق، ص 13 – 20.
[2] مجلة الشهاب، ج1، مجلد12، يناير1937، ص:424-428.

الشهاب فيقرأ بريده ويجيب عليه ، ويقرأ الصحف الواردة ، ويقوم بشؤون المجلة ، فيكتب المقال الافتتاحي في وقته ، وفي الساعة الثانية والنصف يعود إلى الجامع الأخضر، فيصلي العصر مع الجماعة ، ثم يشرع في دروس المساء للطلبة حتى قبيل المغرب، وبعد الصلاة يبدأ بدرس التفسير الذي اشتهر به، وكان هذا الدرس مخصصا للعموم ، ويستمر حتى العشاء، وبعد الصلاة يدخل حجرته في المسجد ، فيأتيه الناس للفتوى أو لحل بعض مشاكلهم ، وإصلاح ذات البين ، وبعد أن يصرف الناس يغادر الجامع الأخضر إلى دار التربية والتعليم ، فيمكث في مكتبه هناك حتى منتصف الليل. [1]

. المطلب الخامس: وفاة عبد الحميد ابن باديس:

لقد عاش عبد الحميد ابن باديس من اجل خدمة الإسلام والمسلمين في الجزائر، ولقد أثمرت حركته الإصلاحية ثمارا حفظت للجزائر هويتها العربية الإسلامية في الأجل القريب آنذاك ثم حققت لها حريتها واستقلالها، وتعدت ثمارها أيضا حدود الجزائر في البلاد المغربية خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، والذي عرف به ابن باديس بين محبيه وحتى عند خصومه أنه رجل مبادئ، ولم يحد عن دعوته ومبادئه قيد أنملة حتى آخر رمق في حياته.

أسلم عبد الحميد بن باديس أنفاسه لربه ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول 1359هـ. الموافق لـ:16 أفريل 1940م بمدينة قسنطينة، ودفن في مقبرة "آل ابن باديس" الخاصة، رغم وصيته التي أوصى فيها بدفنه في مقبرة شعبية عامة. [2]

وقد تدهورت صحته قبل وفاته، ويذكر الشيخ الإبراهيمي أن ابن باديس أصيب بسرطان في الأمعاء لم يتفرغ لعلاجه فقضى عليه.

ويذكر الدكتور أحمد الخطيب عن الشيخ عبد اللطيف سلطاني في مقابلة شخصية معه أن ابن باديس كان مريضا في أسفل ظهره، بالبواسير، ولم يسمح للطبيب بمعاينته، وقد زاره مرة طبيب شيوعي في قسنطينة ويدعى "كاتوار" وقال له:" أنا لا أذهب إلى أحد حتى ولو كان

[1] محمد علي دبوس، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص 77.
[2] حمزة بكوشة، جريدة البصائر، عدد 49، سبتمبر 1948، ص 8 – 13.

عامل العمالة، أما أنت فأنا على استعداد أن آتيك في كل وقت وفي أي مكان، فاسمح لي بمعاينتك، فرفض ابن باديس لأنه لا يريد أن يظهر عورته لأحد".

ويوم تشييع جنازته خرجت قسنطينة كلها تودعه الوداع الأخير، وشاع خبر وفاته في الجزائر وخارجها، وبكاه كل من عرفه، وحزن عليه الناس حزنا شديدا، ورثاه الشعراء والعلماء والأدباء وخلدته الجزائر كواحد من أعظم فلذات كبدها أفنى حياته وعمره فيها ولها ودفن تحت ترابها، وكتب اسمه في سجل أبطالها ورجالها بماء الذهب، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه.

آثار الإمام ابن باديس رحمه الله:

- كتاب مجالس التذكير للبشير النذير.
- كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.
- كتاب تفسير القرآن الكريم لابن باديس.
- كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

المبحث الثاني: نظرة عبد الحميد بن باديس للتربية والتعليم

ولأن عبد الحميد بن باديس للفكر الإصلاحي، حيث دعا الى اختيار التربية الكفيلة لإعداد الفرد روحا وجسدا، وفي هذا الشأن يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس: "ان كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فان نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال لحياتنا الفردية والاجتماعية والمثال الكامل لذلك هو حياة محمد صلى الله عليه وسلم في سيرته الطيبة ".

وبذلك كان تركيز بن باديس والجمعية في منهجها التربوي على التقويم الأخلاق باعتبارها أساس أي علم وتطهير العقيدة من الخرافات والبدع والتي ما انزل الله بها من سلطان وهنا يضيف بن باديس:" ان الذي نوجه اليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالظاهر أساس الباطن " [1].

واصل "الشيخ الابراهيمي" نهج سلفه في نظرته الى التربية، ولم يحدد الشيخ "العربي التبسي" عن ذلك اذ يصفه "محمد علي الدبوز":" كانت دروسه وأحاديثه لتلاميذه كلها ممزوجة بالدعوة الى الأخلاق الإسلامية، فأجدى تلاميذه منهم مثقفين ذوي بصائر قوية صلحاء بدينهم وأخلاقهم الإسلامية".[2]

لعل التضييق الذي فرضته الإدارة الاستعمارية على التعليم مراده نجاح هذا الأخير في استقطاب الناشئة سيما وأنه ربط بين أصالة الأمة ومعاصرة الطرق الحديثة، وبما ان التعليم سيرة التقدم الشعوب وتطورها أصبح وظيفة العلماء التي يتخذونها هداية للناس والتنوير لعقولهم فقد قارن الآية الكريمة بالإيمان، وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).

[1] عمار طالبي، **مرجع سابق، ص10.**
[2] محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ط1، ج2، الجزائر: دار الأمة،2002م، ص28.

وبذلك فقد أضاف الشيخ ابن باديس "العلم والفضيلة الى العروبة والإسلام عدا إياها من أساس النهضة":" العروبة والإسلام والعلم والفضيلة، هذه أركان نهضتنا".[1]

وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا" .

وهكذا الجمعية آلت على نفسها ان تضطلع بهذا المجال وهو ما أوردها رئيسها "ابن باديس "، فما زالت هذه الجمعية منذ ان كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتنيرنا للعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالمية، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا السامية وتربطنا بوطنيتنا الصادقة. [2]

وهكذا تتجلى بوضوح علاقة التربية والتعليم في فكرة بن باديس والجمعية حيث تتجاوز وظيفة التعليم تلقين معارف وتقديم الدروس في النهوض بالإنسان نهضة شامل، تنمية مواهب وترقية قدراته، وفي هذا الشأن يرى ابن باديس:" ولا ادل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم، التعليم الذي ينشره فيه حياة ويبعثها على العمل ويسموا بشخصيتها في سلم الراقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم "

وأبرزت "البصائر موقف جمعية العلماء المسلمين من التعليم، والتربية، والنشر" الهاشمية" إضافة الى مفاهيم تربوية، فنجد يطرح ثلاث أسئلة:" ماذا ينبغي للمعلم ان يعلم؟ كيف يعلم؟ من يجب عليه ان يعلم؟ .[3]

ويجب عليها في كون الأول برامج التعليم التي تفرض على المعلم ليس اكراها وانما ضرورة، ويتعلق الثاني بالمنهج اذ هي طرق مختلفة للتعليم، حر للمعلم ان يعرفها، وأما ثالثها فهي نفسانية الطفل، وهنا يبدوا اطلاع القائمين على التعليم في مدارس الجمعية عما يحدث للطفل، حيث عاد صاحب المقال كثرة المواد المحفوظة ارهاقا لنفسية الطفل ويستشهد هنا بما

[1] عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان، مرجع سابق، ص161.
[2] مرجع سابق ، ص 16.
[3] الهاشمي ، في التعليم ، جريدة البصائر ، السلسلة الثانية ، عدد 35 ، الصادرة بتاريخ 18 ديسمبر 1950.، ص 3 .

قاله "روسو عن تربية التي تدور حول القطب واحد وهو ان نعتبر الطفل طفل، لا صورة مصغرة للرجل، كما "الطفولة ليست نقصا يعتري البشرية في طريقها الى الكمال وانما هي مرحلة ضرورية للنمو، فيها يتطوع الوظائف الجسمية والعقلية، وتستوي المواهب الطبيعية .

واعتمد بن باديس والجمعية في السيرة التربوية مبادئ للعمل لا تحييد عنها، وذلك من طبيعة الأمور لمن يملك بعد النظر، ويرسم خطة تكون نهجا في عمله، والمتتبع لهذه المسيرة يلفي الجمعية بنت مبادئها انطلاقا من أخطاء الاستعمار وهذه المبادئ هي:

-**إعطاء الأولوية للبعد التربوي:** حيث لا يمكن فصل التربية عن التعليم فهما ملتزمان متكاملان كوجهي العملة الواحدة، وأكد ذلك الشيخ الابراهيمي:" وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها انا وابن باديس في تربية النشأ هي ان لا نتوسع له في العلم وانما نربيه على فكرة صحيحة مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا ".[1]

وبالتالي فابن باديس لم يعطي الأولوية للبعد التربوي فحسب ولكنها أرادت ان تقدم للجزائر أفرادا على درجة عالية من كفاءات حيث انصب على اهتمام على الكم والكيف.

-**اعداد الفرد لدنياه وأخراه:** اعتمد بن باديس فكرة نيرة بعيدة عن التوكل والانهزامية والانعزال حيث يتضح من فكرة بن باديس رؤية العلوم ومنها ما هو علم الأكوان وعلم الأديان، وبالتالي فلا استغناء للفرد عن أي منهما ولا عن اللغات الموصلة اليها، ولذلك فالفكر التربوي عند بن باديس يتبع قوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا). سورة القصص ، الآية 77 .

-**المحافظة على الشخصية الجزائرية والدين الإسلامي:** فقد رفعت الجمعية راية الإسلام واعتبر بن باديس ذلك سر تماسك الأمة، حتى ان مطالبته في مؤتمر الإسلامي لم تتخلى عن الشخصية الجزائرية، بمختلف أبعادها ومقاومتها، وحتى المستعمر اعترف بالجمعية

[1] عادل نويهض، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، ط1، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف ، 198 ، ص 50.

بجهودها حيث يرى "شارل اندري جوليان": ان العلماء يعلمون لتطهير الإسلام وتكوين كيان جزائري قائم على الثقافة العربية الاسلامية". [1]

وربما اتضح هذا أكثر حين تناول المنهج التعليمي والبرامج الدراسية لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

-**المزج بين الأصالة والمعاصرة:** لم تكن الجمعية أسير الفكر القديم، ولم تعن لمواجهتها للاستعمار التوقع، ورفض الأخر بكل أفكاره بل ان الجمعية أرادت ان تكون الجزائر شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تهب عليها رياح الغرب فلا تقتلعها الا بما يفيدها رافعة شعار "الأصالة والمعاصرة" يقول بن باديس: حافظ على حياتك ولا حياة لك الا بحياة قومك ووطنك، ودينك ولغتك. وإذا اردت البقاء لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي انت فيه. كن عصريا في فكرك وعملك". [2]

أراد بن باديس ادماج الفرد الجزائري في عصره، كي لا يبقى على هامش دونما تجرد من قيمه وجذوره، وبذلك فقد وقف عبد الحميد والجمعية من قضايا التقدم موقفا معتدلا، اذ يعدون بالنسبة للطرقيين مجددين مصلحين، بينما هم في نظرة النخبة محافظون تقليديون "وقد أمنوا بتقدم العلم وسيادة العقل وحرية الاجتهاد ومن أجل ذلك شجعوا على التعليم العلمي". [3]

-**المزاوجة بين النظرية والتطبيق:** اذ لم تكتفي الجمعية بالتنظير لفكرها، بل انطلق رجالها عبر انحاء الجزائر ينشؤون المدارس، ويجهزون المساجد ويفتحون المكاتب والنوادي ويدرسون أيضا ولم يكن بذلك قانونها الأساسي بمجرد حبر على ورق، كما انهم دعوا الى علم نافع وفي ذلك اتباع الكتاب والحكمة، قال تعالى:(وأنزلنا الحديد فيه بؤس شديد ومنافع للناس)،كما ان العمل الخالي من فكره يوجهه وعلم يصفو به مآله الفشل ولا يرقى بالإنسان

[1] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 87 .
[2] رابح تركي ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص 42.
[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 42.

الى التطور المنشود ومن أشهر ما قال البشير الابراهيمي : "الحياة قسمان: حياة علمية وحياة عملية".

-**التفتح على الثقافات الأخرى:** وهذه نتيجة حتمية للمزيج بين الأصالة والمعاصرة والعلم والعمل خاصة إذا علمنا استفادة الحركة الإصلاحية في الجزائر من نظريتها في المشرق، إضافة الى ما حمله الوافدون الى أوروبا ومن الفكر المتجدد يقول الشيخ "علي بن سعد القمري": " فيما روى لنا التاريخ ان الأمة من الأمم بقيت ذليلة مستعبدة وهي تملك ميزة حرية الفكر...فعار على الأمة الجزائرية ان تبقى مكتوفة الأيدي أمام العالم الإسلامي الذي سار شوطا بعيدا في التقدم والتمدن" [1]

وقد نادى بعض أعضاء الجمعية سنة 1935م بضرورة تقليد الأوروبيين في مناهج التربية والترجمة آثارهم لأنهم كانوا أيضا قد ترجموا من العربية واستفادوا منها. كما نادوا بالتعليم المختلف وعلوم وجميع اللغات الحية كونها مكملة للتعليم الإسلامي والثقافة العربية. [2]

[1] البشير الإبراهيمي ، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 200.
[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 14.

المبحث الثالث: الفكر الإصلاحي للمجتمع للشيخ ابن باديس ووسائله:

المطلب الأول: دعوة عبد الحميد بن باديس للإصلاح وأهدافه:

لقد كانت دعوة ومبدأ عبد الحميد بن باديس في إصلاح المجتمع الجزائري دائما تحت شعار الآية : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) سورة الرعد الآية11 ، وصلاح المجتمع لا يكون إلا بصلاح الفرد في المعتقد أولا ثم السلوك ، معتمدا في هذا الإصلاح على الرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة القولية منها والفعلية على فهم السلف الصالح من الصحابة – رضي الله عنهم –لأنهم أصحاب اللسان العربي الفصيح الذي نزل به الوحي ، ولأنهم شهدوا نزول الوحي وعلموا أسبابه ومقاصده ، فهم أولى الناس بالاتباع ، مع تحكيم العقل الصريح لأنه لا ينافي ولا يعارض النقل الصحيح ، ومن ثم الانصراف والابتعاد عن كل الأحوال الشركية والأعمال البدعية التي تضر بالتوحيد كدعوة غير الله والاستغاثة بالقبور والغلو في الشيخ... وأما في السلوك فهو بالاعتدال والعدل في جميع المعاملات ، مع الحرص على تقديم الصالح العام و السعي إلى تآلف القلوب وتوحيد الصف والكلمة .

ولقد اختلفت الآراء والمذاهب حول الأهداف التي تسعى إليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فبعضهم قصرها على التعليم العربي الحر ومحاربة الخرافات وتصفية الإسلام مما علق به من الشوائب خلال القرون المتأخرة، وبعضهم قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار وبفكرة تكوين الدولة الجزائرية، بينما آخرون نظروا إلى العلماء على أنهم مجموعة من أنصاف المثقفين وردوا على الجزائر من الخارج يحملون معهم مذاهب هدامة وأفكارا أجنبية عن المجتمع الجزائري. [1]

ولقد وسم الإبراهيمي هذه الآراء بالنغمات حيث قال:" نسمع نغمات مختلفة ونقرؤها في بعض الأوقات كلمات مجسمة صادرة من بعض الجهات الإدارية أو الجهات الطرقية تحمل

[1] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، مرجع سابق، ص 86.

عليها الوسوسة وعدم التبصر في الحقائق من جهة، والتشفي والتشهير من الجهة الأخرى، هذه النغمات هي رمي جمعية العلماء تارة بأنها شيوعية وتارة بأنها محركة بيد خفية أجنبية، وتارة تعمل للجامعة الإسلامية أو العربية، أو تعمل لنشر الوهابية ...".

وقد ذكر فرحات عباس الذي كان من دعاة الإدماج أن برنامج الجمعية يتلخص في الرجوع إلى العربية والإسلام ومحاربة أصحاب الزوايا والطرقيين والمتواطئين مع الاستعمار وتكوين إطارات الثقافة العربية.

بينما يرى جوزيف ديبارمي سنة 1932 أن أهداف الجمعية تتمثل في فهم لغة القرآن، والعودة إلى الثقافة الإسلامية القديمة، واعتبار المغرب العربي كقلعة للعبقرية الشرقية في وجه الغرب ن وتنقية وتبسيط الدين الإسلامي. [1]

أما شارل أندري جوليان فيرى أن برنامج العلماء كان دينيا وثقافيا في آن واحد، فمن الوجهة الدينية أرادوا الرجوع بالإسلام في الجزائر إلى نقاوته الأصلية، ومن الوجهة الثقافية سعوا على جمع شتات المجموعة الإسلامية بالتقريب بين السنيين والخوارج والعرب والبربر بدون ميزة في الجنس أو الأصل قصد خلق كتلة واحدة من المسلمين الجزائريين.

وإذا أردنا أن نعرف الأهداف الحقيقية لبن باديس والتي تأسست من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لابد أن نستعرض أقوال وتصريحات مؤسسيها، فلقد لخص ابن باديس أهداف الجمعية سنة 1935 في قوله:" القرآن إمامنا والسنة سبيلنا والسلف الصالح قدتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا ".

وذكر البشير الإبراهيمي بأنها:" جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تعلم وتدعو إلى العلم وترغب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر، وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية لأنهما شيئان متلازمان وتدعو إليهما وترغب فيهما، وتنحو في الدين منحاها الخصوصي وهو الرجوع به إلى نقاوته الأولى وسماحته في عقائده

[1] المرجع السابق، ص86.

وعباداته، لأن هذا هو معنى الإصلاح الذي أسست لأجله ووقفت نفسها عليه، وهي تعمل في هذه الجهة أيضا بوسائل علنية ظاهرة.

وبمقتضى الصفة الثالثة تدعو إلى مكارم الأخلاق التي حضي الدين والعقل عليها لأنها من كمالها، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها وذم مقترفها وسلكت في هذه الطريق الجادة الواضحة وبهذه الصفة تعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، وترشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية، وتريه ما يتعارض منها مع الدين وما لا يتعارض.

فالجمعية – بهذا الوصف الحقيقي لها – أداة من أدوات الخير والإصلاح، وعامل لا يستهان به من عوامل التربية الصالحة والتهذيب النافع وعون صالح لأولي الأمر على ما يعملون له من هناء وراحة، تشكر أعماله ولا تنكر". [1]

وقال في الاجتماع العام للجمعية سنة 1933:" إن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية، فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما امر الله أن يقام بتصحيح أركانه الربعة ك العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق، فكلكم يعلم أن هذه الأركان أصبحت مختلفة، وأن اختلافها قد أوقعنا فيما ترون من مصائب وبلايا وآفات...

وإنما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكوناته... وكلكم يعلم أن هذا اللسان ضاع من بيننا فأضعنا بضياعه كل ذلك التراث الغالي النفيس من دين وتاريخ وأن اللغة هي المقوم الكبر من مقومات الاجتماع البشري، وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها ...

ليس معنى سعي جمعيتكم لهاتين الغايتين أنها تعرض عما سواهما، وأنها لا تقيم الوزن لهذه العلوم التي أصبحت وسائل للحياة أو هي الحياة نفسها كما ظنه الظانون بهذه الجمعية،

[1] محمد البشير الابراهيمي، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مرجع سابق، ص72-73.

فظنوا بها ظن من لم يفهم شيئا من حقيقتها فهي تعمل للغايتين وتعمل لما ورا الغايتين من كل نافع مفيد لا ينافي كليات الإسلام وأصوله.[1]

هذا لا يعني أن السياسة لم تكن من اهم أهداف بن باديس والجمعية ، فقد اتفق مؤسسوها الأوائل على إخفاء البعد السياسي الثوري الذي كانوا يهدفون إليه من وراء المقاصد الدينية والثقافية ، وعملوا لها جهارا نهارا، فأعمالهم تقوم أساسا على التربية والتعليم ، ومحاربة الآفات الاجتماعية وإحياء القيم الإسلامية العربية واتخذوا لذلك برنامجا واضحا" الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا " مما لا يصعب فهمه وإدراك مغزاه على احد ، فكان هدف الجمعية في المجال الديني والاجتماعي هو بعث نهضة دينية فكرية تقوم على أساس القرآن والسنة النبوية ، وفي المجال السياسي تهدف إلى بعث شخصية وطنية أصلية لا تتأثر بالتيارات الشرقية ولا الغربية المعروفة .

ويمكن تلخيص أهداف بن باديس و الجمعية في مطلبين ، أولهما قريب المدى ، ويتمثل في تصفية الإسلام من الشوائب التي نسبها إليه بعض أصحاب الطرق ورجال الدين المنحرفين عملاء الاستعمار من أنواع الشرك وضروب البدع في العقائد والعبادات والمعاملات ، ودعوة الناس إلى الرجوع إلى المشرب الصافي للإسلام وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على فهم السلف الصالح ، وإحياء اللغة العربية ، والاهتمام بالتربية والتعليم ، ومحاربة الآفات الاجتماعية ، والوقوف ضد محاولة مسخ الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية التي تنكر لها بعض أبناء الجزائر الذين تأثروا عجيبا بالثقافة الفرنسية منهم فرحات عباس الذي قال :" ولو أني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين ولما خجلت من ذلك ، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون ، ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم ، ومع ذلك فلن اموت من أجل وطن جزائري لأن ذلك الوطن ليس له وجود ، ولقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني أحد عنه ،

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1997.

ولا يمكن البناء على الهواء ، ولقد استبعدنا جميعا هذه الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد "[1]

وأكد الأستاذ نصر الجويلي أن هذا الموقف ليس مستبعدا من فريق تثقف ثقافة فرنسية وتتلمذ على مستشرقين دأبهم الوحيد طمس معالم التاريخ القومي للشعوب العربية الإسلامية والتنكر لكل ما أبدعوه من حضارة وتقدم في شتى المجالات بحيث أن هؤلاء قليلي التحمس، ومن ردود الجمعية قول ابن باديس:" إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة مكونة موجودة كما وجدت كل أمم الدنيا ،ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا ". [2]

والمطلب الثاني كهدف بعيد المدى هو استرجاع استقلال الجزائر وتكوين دولة جزائرية عربية إسلامية، وقد اتضح ذلك في مناسبات عديدة أظهر فيها علماء الجمعية بعد النظر في المستقبل، فابن باديس رئيس الجمعية أعلن سنة 1936 وهو ما يزال عضوا في المؤتمر الإسلامي أن الهدف من وجوده فيه هو ضمان الشخصية الجزائرية، وأن المطالبة ببرنامج بلوم – فيوليت يجب ألا يتحول إلى مشروع يهدر مقومات الشخصية الوطنية.

وهو الذي قال أيضا: أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعطش للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا لأجلها ".

ويقول الإبراهيمي:" إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتطالب باستقلال قضائه...وتطالب بحرية التعليم، تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن واحد....".

[1] مجلة الشهاب، ج1، م 12، 1936.

[2] نصر الجويلي، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الدين والسياسة**، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 49 – 50، تونس، جوان1988. ص 110.

ـ المطلب الثاني: الوسائل التي اعتمدها ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وإذا كانت مبادئ واهداف العلماء لم تتغير في جوهرها ، فإن وسائلهم قد خضعت للظروف ، ويمكننا القول أن هذه الوسائل ظلت أيضا في جوهرها واحدة وهي المسجد والمدرسة والنادي والصحافة ن فالمسجد كان للوعظ والإرشاد بطريقة العلماء الجديدة في فهم الدين ودوره في الحياة ، والمدارس كانت لتربية وتعليم النشء الجديد وتخريج إطارات الثقافة العربية الإسلامية ، والنادي كان للتوعية والتوجيه الوطني بالخطب والمحاضرات والمسامرات والأشعار والأناشيد ن والصحافة كانت لنشر المبادئ والأهداف والدعوة إلى اليقظة ، والدفاع عن الجمعية ضد خصومها سواء كانوا من الإدارة الفرنسية أو من قطاعات المجتمع لأهلي ، وقد أضيفت إلى ذلك خلال الثلاثينيات وسائل أخرى كانت في الواقع بنت المناسبات ، من ذلك الاجتماع ، والمقابلات ورسائل الوفود ، والرحلات والمشاركة في التجمعات العامة ونحوها . [1]

وسنعرض بنوع من الإجمال إلى أهم هذه الوسائل التي مكنت بن باديس والجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تحقيق الكثير من أهدافها، وإيصال دعوتها إلى كل القطر الجزائري المترامي الأطراف.

2-1-المساجد:

يعتبر المسجد محلا للعبادة في الإسلام، ولا يقتصر في معنى العبادة هنا على أداء الصلوات وتلاوة القرآن بل يتعدى فيشمل مفهوم العبادة العام الذي فهمه السلف الصالح من انه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الصالحة، ولقد دلت السيرة النبوية على أن أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة لبناء دولته وتأسيس مجتمع الإسلام هو بناء المسجد.

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، مرجع سابق، ص 90.

لقد كان المسجد في الجزائر مكان انطلاق شعلة الإصلاح ، وأغلب العلماء المصلحين قبل تأسيس الجمعية وبعدها بدأوا نشاطهم الإصلاحي بالتعليم المسجدي ، بل إن عبدالحميد ابن باديس جعل المسجد والتعليم مثيلان لا ينفكان عن بعضهما فقال :" المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بنى النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار السلام بيته حتى بنى المسجد ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة... ولهذه الحاجة مضى النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المسجد بهما فما انقطع عمره كله عن الصلاة وعن التعليم في مسجده حتى في مرضه الذي توفي فيه ، ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الإسلام يقفون الأوقات على المساجد للصلاة والتعليم ، ومن اظهر ذلك وأشهره اليوم الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين".

ولقد شرح مؤسس الجمعية أهمية المسجد في إحدى مقالاته في الشهاب فقال:" إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة، وبصيرة الدين فتكمن هي في نفوسها ولا تهمل – وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته – تعليم أبنائنا، وهكذا ينشر العلم في الأمة، ويكثر طلابه من أبنائها."[1]

لقد أفنى ابن باديس وزعماء الجمعية من العلماء المصلحين جل أعمارهم للتعليم والتدريس في المساجد، ولما نادى بتأسيس كلية للتعليم الديني يخرج منها الفقهاء والعلماء، ذكر أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الأخضر بقسنطينة من العمالات الثلاثة، وقد كان عدد الطلبة في الجامع الأخضر وحده سنة 1936 يقدر بثلاثمائة طالب.

[1] **مجلة الشهاب**، مجلد السادس، ج 11، ديسمبر 1930، مرجع سابق، ص 692-693.

ولقد اتبع علماء الجمعية في الوعظ والإرشاد طريقة السلف، يقول محمد البشير الإبراهيمي:" أما في المساجد فطريقة الجمعية في الوعظ والتذكير هي طريقة السلف، تذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجلي عبره، وبالصحيح من سنة رسول الله، تبينها وتنشرها، وبسيرته العلمية، تجلوها وتدل الناس على مواضع التأسيس منها، ثم سير الصحابة وهديهم، ثم سير حملة الناس، وحملة الهدي المحمدي في أقوالهم وأعمالهم كذلك ".

وأما التعليم المكتبي فلقد عهدت الجمعية به إلى معلمين أكفاء يلقنون المتمدرسين لديهم اللغة العربية بأبسط القواعد وأسهل التراكيب على اختلاف مستوياتهم حتى في فرع تعليم الأميين الكبار، وكان الأساتذة يحرصون على تربية ملكة الذوق في نفوس الطلبة، وإصلاح اللهجات التي حرفتها العامة وتقويم اللسان على مخارج الحروف وصفاتها، والتشجيع على التكلم أمام الناس بما يمليه الخاطر من غير اعتماد على وحي معلم أو كاتب.

قال العلامة الإبراهيمي رحمه الله:" وقد ظهر نتائج هذا التعليم جلية في كل تلميذ قرأ في المكاتب لنظر الجمعية ولو لمدة قليلة، فاستقامت الألسنة، وصحت اللهجات، وبدأت ملكة الخطابة تتطبع في بعض البلابل البشرية، ويرجى ان يكون لهذا المبدأ الحسن ختام أحسن منه ". [1]

لقد أقلق نشاط علماء الجمعية في المساجد الإدارة الفرنسية من حيث كثافته ونوعيته ولم تتقبل آثاره المتزايدة على المجتمع الجزائري في كل الميادين فسارعت إلى مضايقته، فأغلقت بعض المساجد، ومنعت العلماء من التدريس والمحاضرة في البعض الآخر، فثارت ثائرة الأمة حسب قول الإبراهيمي:" فأنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى ". [2]

[1] نفس المرجع، ص 63.
[2] **مجلة مجمع اللغة العربية**، عدد 21، ص 146.

2-2-المدارس

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية علمية دينية تهذيبية لذلك تكون المدارس من أهم الوسائل لديها لأداء رسالتها ، ولقد أدرك العلماء المصلحون أن التعليم أول لبنة يجب إعدادها لبناء المجتمع الجزائري العربي المسلم ، فالاستعمار الفرنسي عند دخوله الأراضي الجزائرية سنة 1830 استهدف الأجساد بالتقتيل والتجويع والتشريد ، واستهدف نشر الأمية والتنصير وفرنسة اللسان والطباع حتى يقضي على شخصية الفرد الجزائري الذي يكون الوحدة الأساسية لهذا المجتمع ، لذلك كانت حملة العلماء على الجهل عنيفة واستحقت الأولوية في برنامجهم الاستعجالي .

ولقد وصف الجهبذ الإبراهيمي رحمه الله المدرسة على أنها جنة الدنيا، وكل شعب لا تبنى له المدارس تبنى له السجون وقال أيضا:" وأكبر جناية تجنيها الأمية على الأمم هي القضاء على التفكير، والتفكير هو المعيار الذي توزن به القيم العقلية في الأمة سموا وإسفافا، ومحال أن يسمو تفكير الأمي لأن فكره في قفص من أميته .... أما آفاق التفكير الفسيحة التي تسبح فيها أفكار المفكرين فإنها لا تفتح إلا بالقراءة والدراسة ".

ولما كانت التربية والتعليم عاملين أساسين في تحقيق الشخصية القومية للجماعة، فإن الجمعية قد اهتمت منذ البدء بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر، وكانت أول المدارس التي أسستها الجمعية مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936 ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر، ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة.[1]

لقد كان التعليم العربي قبل تأسيس جمعية العلماء محصورا في دائرة ضيقة من حيث المنهج والمادة وطرق التدريس، ولكن سعي الجمعية بتوفير الوسائل والإمكانيات المادية وتغيير المناهج والطرق التربوية وإنشاء المكاتب الحرة لتعليم الصغار، وتنظيم دروس الوعظ

[1] مصطفى زميرلي، **جريدة البصائر**، عدد 119، 24 جوان 1938، ص 4.

والإرشاد في المساجد، حقق نجاحا خلال فترة وجيزة من الزمن في ميدان التربية والتعليم نالت به إعجاب أصدقائها واحدثت الرعب في نفوس أعدائها وخصومها. [1]

ونظرا لأهمية التعليم العربي في برنامج جمعية العلماء، عقدت في شهر سبتمبر 1937 مؤتمرا لأساتذة ومعلمي المدارس العربية الحرة بنادي الترقي، وكان موضوع هذا المؤتمر النظر في نظم وأساليب التدريس ومحاولة توحيد مناهج وطرق التدريس في المدارس التابعة لجمعية العلماء.

وقد طلبت الجمعية على لسان رئيسها من الأساتذة والمعلمين تقديم آرائهم واقتراحاتهم وفقا لخطة الجمعية في الإصلاح والنهوض بالمجتمع.

وإن الناظر في جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ميدان التربية والتعليم لا يمكنه أن ينكر فضل عبدالحميد ابن باديس عليها ويمكن اعتبارها امتدادا لها ، إلا أن نطاق هذه الجهود اتسع إلى أغلب أنحاء الجزائر بعد أن كان مقصورا على بعض مدن الشرق الجزائري ، وقد تقاسم زعماء الجمعية فيما بينهم حمل العبء التربوي التعليمي على العمالات الثلاثة فتكفل عبدالحميد ابن باديس بعمالة قسنطينة ، والشيخ الطيب العقبي بعمالة الجزائر العاصمة ، والشيخ البشير الإبراهيمي بعمالة وهران ، وكان الاتصال والتنسيق بين جهودهم التربوية على مستوى عال من الإحكام .

2-3-الصحافة

لقد كانت الصحافة من أهم الوسائل التي مكنت بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تحقيق الإصلاح في ميادين عديدة في المجتمع الجزائري، ومع جميع طبقاته، ومهما بعدت أماكن وجودهم، فالصحافة كانت دائما الوسيلة السريعة والعامة لنشر الأفكار والمذاهب وتبادل الآراء عبر التاريخ، كما أنها كانت سلاحا فعالا تشهره في وجه الإدارة

[1] رابح تركي عمامرة، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، مرجع سابق ص 207.

الفرنسية، بعض الطرقيين الموالين لها، وضد دعاة الإدماج من المثقفين الجزائريين الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية وتأثروا بثقافتها.

لما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصدرت قرارا سنة 1933 يقضي بتخصيص جزء من مجلة الشهاب تنشر فيها خطاب علمائها ومحاضراتهم وفتاوى فقهائهم وجميع منشوراتها العلمية، أما نشراتها الإدارية فتعطى لسائر الصحف الدورية، ثم أصدرت الجمعية جرائد خاصة بها كالشريعة المحمدية والسنة النبوية والصراط السوي. [1]

لقد كانت جريدة السنة النبوية أول جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون اللسان الرسمي الناطق عنها، وقد ظهر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة في أول مارس سنة 1933 ن وطبعت بالمطبعة الإسلامية الجزائرية تحت شعار قال الله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) الأحزاب الآية 21. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: {فمن رغب عن سنتي فليس مني} تحت إشراف رئيس الجمعية الشيخ ابن باديس، أما رئاسة تحريرها فقد تكفل بها عضوان من إدارة الجمعية عرفا بملاحقتها الشديدة للبدع وأصحابها، هما الشيخ الطيب العقبي، والشيخ محمد السعيد الزاهري.

ولقد أصدر وزير الداخلية قرار في 22 جوان 1933 يقضي بتعطيل جريدة السن النبوية دون محاكمة، وأرسل رجال الشريطة صبيحة أول جويلية من سنة 1933 لحجز الأعداد الموجودة منها في السوق.

وأوضحت جريدة المرصاد الأسباب الحقيقية لتوقيفها:"... ونحن بالنظر إلى مشرب هذه الجريدة الديني نقف وقفة الباهت المتعجب، مفكرين في مقدار ما وصلت إليه لغة الأمة من الإهانة والاحتقار في هذه البلاد، حتى إن السلطة لها الحق أن تخنق أية جريدة عربية، في أي وقت شاءت بلا سبب، ولو بأدنى وشاية يقوم بها فريق الشغب والتفتين، دلك الفريق الذي لا يعيش إلا من إغراء السلطة على أحرار الأهالي...". [2]

[1] **مجلة الشهاب**، م 10، ج 9، أوت 1934، ص 377.
[2] **جريدة المرصاد**: العدد 52، جويلية 1933.

بعد توقيف جريدة السنوية النبوية أصدرت الجمعية في 17 جويلية سنة1937 جريدة الشريعة أي بعد سبعة عشر يوما فقط، واحتفظت جريدة الشريعة بنفس المؤسس ورئيس التحرير، والشعار الذي كان في جريدة السنة تحمل قرار التعطيل في افتتاحيتها لأنها لم تكن إلا امتدادا لجريدة السنة، وصدر قرار توقيفها في 29 أوت 1933. [1]

بعد تعطيل الصحيفتين السنة والشريعة، بادرت جمعية العلماء بدون يأس إلى إصدار صحيفة أخرى " الصراط السوي " ظهر العدد الأول منها في الحادي عشر من سبتمبر 1933، مع الاحتفاظ بنفس المؤسس، وريس التحرير، وصاحب الامتياز، ومصدر الطبع، ومكان الصدور، ولعل الشيء الوحيد المختلف فيها هو شعارها: ((قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)) سورة طه الآية 135.

ولقد صدر قرار تعطيلها بعد صدور العدد السابع عشر منها في الثامن جانفي سنة 1934.

بعد هذا التعسف من الإدارة الفرنسية الذي مس الحق الإعلامي للجمعية بتعطيل كل من السنة والشريعة والصراط دام هذا التعطيل والحجر مدة سنتين كاملتين، اغتنم العلماء المصلحون رحيل جان ميرانت عن الولاية العامة، وقد كان معروفا بعدائه الشديد للإصلاحيين، وتواصلوا مع المدير الجديد" ميو " وأظهروا له بعض الليونة والولاء، وأفهموه أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية دينية علمية تهذيبية لا علاقة لها بالعمل السياسي فرخص لهم بإصدار جريدة.

كانت هذه الجريدة الواعدة هي البصائر برز العدد الأول منها في السابع والعشرين من شهر ديسمبر سنة 1935، وأسندت الجمعية إدارتها في أول الأمر إلى الشيخ الطيب العقبي، وامتيازها للشيخ محمد خير الدين وكان شعارها الآية الكريمة: ((قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ

[1] محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، مرجع سابق، ص 224 – 227.

مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)) سورة الأنعام الآية 104. وكانت تصدر بالعاصمة وطباعتها بالمطبعة العربية.

ولقد تميزت جريدة البصائر بنشر أفكار جمعية العلماء الإصلاحية، ومهاجمة الموظفين الرسميين .... ومواكبة جميع الأحداث السياسية منها والاجتماعية وتدلي فيها برأي، وتتخذ فيها مواقف كواحدث المؤتمر الإسلامي المنعقد بالعاصمة في جوان 1936، وقضية اعتقال الشيخ الطيب العقبي بتهمة اغتيال المفتي الحكومي " كحول " وقرار 08 مارس 1938 القاضي بإغلاق المدارس الحرة أمام علماء الجمعية.

كما أن اهتمام جريدة البصائر بالحركة الإصلاحية قد تعدى الجزائر إلى بلدان المغرب العربي كالمغرب وتونس وحتى مصر، وفتحت صفحاتها لجميع العلماء الذين يحملون الأفكار الإصلاحية، وسارت البصائر سير أكبر الجرائد العربية بأسلوب راق وإنتاج فكري رفيع المستوى، وبلغت ما لم تبلغه أي جريدة عربية في الجزائر إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة وهو رقم قل ما بلغته جريدة في تلك الفترة.

وعند قيام الحرب العالمية الثانية توقفت جريدة البصائر عن الظهور وكان آخر عدد في 25 أوت 1939 حتى لا تجبر على موالاة السلطات الاستعمارية في حربها وكما يقول العلامة الإبراهيمي: " التعطيل خير من نشر الأباطيل "، وعادت إلى الظهور بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1947. [1]

2-4-النوادي:

لقد كانت النوادي من أهم وسائل الجمعية إلى جانب المدرسة والمسجد والصحافة في نشر الوعي والثقافة بين الشباب المسلمين الجزائريين، بعد أن كان الجزائريون منذ أن وطأت أقدام المحتلين أرض الجزائر يجهلون الاجتماعات بعد أن منعتها القوانين الاستثنائية " الأنديجا " فكانت جميع الحركات الجزائرية داخل القطر تتسم بقلة النظام. [2]

[1] محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، مرجع سابق، ص 279 – 289.
[2] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص 165.

ومع حلول القرن العشرين مثلت الأندية المرحلة الأولى في ظهور الثقافة والمدارس الحرة، حيث تمكن الشباب من التواصل فيما بينهم، وتكوين علاقات جديدة أثناء المناقشات حول القضايا السياسية والاجتماعية والدينية، ولا أصدق على ذلك من فكرة نادي الترقي بالعاصمة الذي لَمَّ شمل المثقفين، وأضحى مركزا للاحتفالات والمحاضرات، وكان أول نشاط إيجابي لتحقيق وحدة الفكر الجزائري، ففي نادي هذا النادي وضعت البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية لكي تخرج إلى حيز التنفيذ.

لقد اعتبرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النوادي العربية الإسلامية همزة وصل بين المدرسة والمسجد، لأن هناك أعدادا هائلة من الشباب الجزائريين لم تجد الجمعية أية وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية والثقافية العربية إلا في تلك النوادي.

ومن هنا لعبت دورا هاما في تهذيب الشباب وتوجيهه توجيها عربيا إسلاميا عن طريق المحاضرات والدروس والنوادي ، وقد كان المصدر المادي الذي تعتمد علين النوادي في أداء رسالتها الثقافية والتربوية وتوعية الجيل الجديد على الاشتراكات التي يدفعها أعضاؤها من ناحية ، وعلى أرباح بيع المشروبات لروادها من جهة أخرى ، ومن هذين الموردين الماليين كانت الجمعية تنفق على اوجه أعمالها الثقافية والاجتماعية ،فكانت تخصص جزءا هاما من دخلها السنوي لمساعدة المدارس التي تقع في حوزتها حتى تتمكن من أداء رسالتها في نشر التعليم العربي .

لقد انزعجت الإدارة الاستعمارية لحركة هذه النوادي فحاولت التضييق على نشاطها فرفضت منح التراخيص والتسهيلات لتأسيسها، وإضعافا لقدرتها المالية أصدر وزير الداخلية قرارا سنة 1938 يمنع بيع المشروبات المباحة داخل النوادي إلا بترخيص من السلطات.

وإذا كانت المدرسة مخصصة للأطفال، والمسجد لا يقصد في معظم الأوقات إلا المسنون من الرجال والنساء، والصحف لا تكون إلا في متناول المتعلمين المتعودين على قراءتها، فإن الشباب الذي لا يقرأ ولا يدخل المساجد يكون محروما من ثمار الحركة

الإصلاحية والنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها الجزائر في غضون العقد الرابع من هذا القرن، ولذلك باتت النوادي تشكل المحور الرئيسي لتجميع هذه الفئة وتوعيتها دينيا واجتماعيا وثقافيا حتى تؤدي دورها السياسي والوطني في المستقبل.

2-5-الاحتجاجات وإرسال الوفود والرسائل:

إلى جانب الوسائل التي ذكرناها سابقا وظفت جمعية العلماء وسائل أخرى للدفاع عن أفكارها، والاحتفاظ بوجودها، وكانت هذه الوسائل وليدة الأحداث والمناسبات، خاصة كرد فعل ضد الإدارة الاستعمارية في قراراتها التعسفية لعرقلة نشاطات الجمعية في كل الميادين.

لقد كانت جمعية العلماء تظهر احتجاجاتها على كل إجراء تصدره الإدارة الفرنسية ضد مؤسساتها التربوية والتعليمية، خاصة بعد تيقنت السلطات الاستعمارية خطر الجمعية ومدى بعد أهدافها الوطنية في ثوب التربية والتعليم والثقافية، وأثرها على جميع طبقات المجتمع الجزائري رجالا ونساء، مثقفين وأميين، صغارا وكبارا.

كانت الجمعية في سيرها تسير على حبل رقيق، فهي تأمل وتحتج، تسخط على إدارة فرنسا في الجزائر وتثق في ديمقراطية فرنسا في أوروبا، وتطالب بالحرية وبالاستقلال للجزائر ولكن عن طريق فرنسا، وتثور على رجال الدين الذين تستعملهم فرنسا، وتدعو إلى وحدة رجال الدين ولو كانوا من المحافظين الموالين لفرنسا، وتحذر النواب والنخبة من مغبة الاندماج والمطالبة بالمساواة في الحقوق وتستجد بهم ضد منع الإدارة صحفها وعلمائها من ممارسة نشاطها .... ولا يستبعد أن تكون الإدارة الفرنسية قد حلت الجمعية وقضت عليها في مهدها لو لم تختر هذا الطريق المحفوف بالأخطار والمزالق.

لقد أصدرت الإدارة الاستعمارية قرار في 16 فيفري 1933 الذي عرف باسم منشور ميشال ألزمت فيه السلطات المحلية بالمراقبة الدقيقة والتضييق على العلماء المصلحين واتهمهم بـ:" السعي إلى تهديد المصالح الفرنسية " فقابلت الجمعية هذا القرار بالاحتجاج والرفض في صحافتها واجتماعاتها، وأرسلت البرقيات والرسائل وقابلت المسؤولين الفرنسيين،

واستنجدت بالنواب في المجالس المحلية وكل القوى التي تمثل الرأي العام لتقف إلى جانبها.[1]

وفي سنة 1935 قام العلماء بمقابلة مع الوزير الفرنسي رينيه Regnier أثناء زيارته للجزائر، ومع ازدياد احتجاجات العلماء على الإدارة الاستعمارية وتجاوزاتها ضد نشاطاتهم أصدرت الداخلية أمرا في شهر مارس 1935 يقضي بمنع التصريحات المضادة للسيادة الفرنسية في الجزائر ورد فيه:" إن الدعاية المعادية لفرنسا سواء بطريق الصحافة او الخطابة قد توسعت كثيرا في هذه الشهور الأخيرة بإفريقيا الشمالية، وأن الدعاية المخيفة جدا حيث إن الأهلي يعتبر أن كل نص مطبوع هو بمثابة النصوص المقدسة التي يجب الاعتقاد بها ".

إن هذا القرار لم يثبط من عزيمة العلماء القوية أو يضعف من حركة الجمعية بل زادها نشاطا وصلابة في موقفها الإصلاحي والوطني ، ففي السنة التالية 1936 شاركت الجمعية كعضو حيوي في المؤتمر الإسلامي العام الذي ضم كل الاتجاهات السياسية في البلاد ، وكان ابن باديس والإبراهيمي والعقبي من بين أعضاء وفد المؤتمر الذي سافر إلى باريس على إثر انقضاء المؤتمر لتقديم مطالب الأمة إلى الحكومة الفرنسية ، واجتمع هناك برجال دولتها وبصحافتها ، وبقيادة نجم شمال إفريقيا ، وبالرغم من أن مطالب المؤتمر الإسلامي تضمنت قضية فصل الدين عن الدولة وإرجاع المعاهد الدينية والأوقاف للمسلمين ، وإلغاء الإجراءات المتخذة ضد اللغة العربية ، فإن الإدارة الفرنسية استمرت في مضايقة علماء الجمعية وخنق نشاطاتهم.

في سنة 1938 اجتمع في مدينة بسكرة ما يزيد على سبعة آلاف شخص من أنصار الجمعية لسماع محاضرة الشيخ الفضيل الورتلاني وبعض العلماء، وقد رفع الحاضرون احتجاجا شديد اللهجة ضد المضايقات الإدارية للحركة العلمية الدينية، وأعلنوا تضامنهم مع علماء الجمعية واستنكروا غلق السلطات لمكتب تلمسان الذي أسسه البشير الإبراهيمي باسم

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 93-94.

" دار الحديث " وعزل الشيخ عبدالحفيظ الجنان من وظيفته، واعتقال الشيخ عمر دردور ممثل الجمعية في باتنة ظلما.[1]

وفي شهر مارس سنة 1938 اشتدت احتجاجات الجمعية في الصحف والجرائد ، وتعالت أصواتهم في الاجتماعات الخاصة والعامة بسبب قانون 8 مارس المتعلق بمنع التعليم العربي الحر في المدارس إلا برخصة من الإدارة الفرنسية ، وهكذا أصبحت الجمعية قوة لا يستهان بها في مواقفها ضد الإجراءات التعسفية التي تواليها الإدارة الاستعمارية ضد الوطنيين والمؤسسات الإسلامية ، ومنذ شهر فيفري 1938 نشرت بيانا في جريدة البصائر دعت فيه جميع الوطنيين إلى تسجيل كل منظمة تقع عليهم في أمر التعليم وكل إهانة تلحق الدين في المساجد وكل تهمة تلصق بهم لشل حركتهم الإصلاحية وأن يكون هذا التسجيل في صحيفتهم البصائر .

وفي شهر سبتمبر 1937 اجتمعت أربع عشرة جمعية إسلامية من جمعيات قسنطينة في نادي الاتحاد استنكرت ونددت باحتفالات الذكرى المئوية لاحتلال قسنطينة، وقام ابن باديس بنشر بيان المقاطعة في مجلة الشهاب وورد فيه:" نحن الممثلين لجمعيتنا – نرى احتراما لأنفسنا واحتراما لأجدادنا واحتراما للإنسانية – ألا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها ....".

والحق أن بن باديس والجمعية العلماء كانت تجابه الاستعمار بحجج منطقية مستخلصة من واقع الشعب الجزائري الأليم، وتحاربه بالمبادئ الجمهورية والديمقراطية الفرنسية نفسها التي كان يدعي قادة الاحتلال وساسته أن المد الفرنسي إلى الجزائر كان بهدف تمدين وترقية المسلمين الجزائريين الذين كانوا في نظر الفرنسيين برابرة متوحشين.

[1] **جريدة البصائر**، عدد 99، 11 فيفري 1938، ص 3.

المبحث الرابع: الفكر التربوي للشيخ من خلال النشاط الجمعوي:

لقد أسس ابن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على أنها جمعية دينية تهذيبية تعليمية تعتمد على ثلاث دعائم الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا. ولقد كانت هذه الدعائم هي البرنامج الحقيقي للجمعية مع أنها نفس الأهداف التي سعى الاستعمار الفرنسي لتدميرها وإبادتها.

لقد من الله على الجزائر بجمعية العلماء، ومن على الجمعية بحكماء أمثال المؤسس ابن باديس والإبراهيمي وأصدقائهم، قال ابن باديس مُنَوِّهًا بفضلهم:" إذا كنت استمد القوة والحياة، فإنما استمدها من الذين أولوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولأمتي، وأخص منهم الأسود الكبار وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم، الذين أجدني مهما وقفت موقفا إلا وجدتهم معي كالأسود، فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادي، وتأثل بطارفهم تلادي، أطال الله أعمارهم ورفع أقدارهم >>. وتكمن حكمتهم في تنوع وشمول البرنامج الإصلاحي فلم يقتصر على جبهة واحدة ولكن كانت الأولويات وهو من فقه الواقع وبعد النظر قال البشير الإبراهيمي في معرض الرد مبينا هذه الحقيقة:" ...إن جمعية العلماء لم تنفق أوقاتها كلها ولم توجه قوتها بأجمعها إلى هذه الجهة فقط كما يتوهم بعض الواهمين، بل للجمعية برنامجًا إصلاحيا عمليا حكيما، وهي موزعة أعمالها على فصوله، معطية كل فصل ما يستحقه، واقفة في كل عمل عندما يتهيأ لها من وسائله ويتيسر من أسبابه >>.[1]

وسعيا وراء تحقيق أهدافها النبيلة تنوعت نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا ما سنقوم بعرضه في هذا المبحث حسب ما تتسع له هذه الرسالة.

[1] محمد البشير الابراهيمي، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مرجع سابق، ص61.

-المطلب الأول: ابن باديس والنشاط الديني:

قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجلة الشهاب [1]تحت عنوان: "جمعية العلماء دعوتها وغايتها" بمناسبة انعقاد الاجتماع العام الثاني لها: " إن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين لها في كل قلب عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساوي مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية ".

لقد ذكر الإبراهيمي على لسان الجمعية ونيابة عن علمائها أنّ سبب إنشائها هو سبب ودافع ديني بالدرجة الأولى، ومن ثمّ ستكون أغلب نشاطاتها في المجال الديني بإحياء الدين الإسلامي ويتضمن أيضا إحياء اللغة العربية لأنها من أهم عوامل إقامته.

لقد استنفذ بن باديس والعلماء المسلمين المصلحون طاقاتهم وجميع الوسائل المتاحة في تلك الظروف لصعبة والمرحلة المظلمة في تاريخ الجزائر من أجل الرجوع بالجزائريين إلى الإسلام الصحيح الذي يثمر إصلاح الفرد الجزائري ومن ثم إصلاح المجتمع الجزائري، ولا يصلح الفرد المسلم إلا بأداء الحقوق، والحقوق في الإسلام على ضربين حقوق الله وحقوق العباد، فأما حقوق الله فتؤدى عن طريق تحقيق التوحيد الصحيح، وهو ما عبر عنه بركن العقيدة، وتحقيق ما عبّر عنه بركن العبادة، وأما حقوق العباد فهي حسن المعاملة وحسن الخلق.

ولقد جاء في مسودة للقانون الداخلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفصل الثالث منه عند الحديث على مقاصد الجمعية ما نصه: " وتجري في الدين منها خاصة على

[1] **مجلة الشهاب**، ج9، مجلد9، أوت 1933.

الرجوع إلى صريح الكتاب وصحيح السنة، ثم الرجوع إلى الإجماع الثابت والقياس الجلي فيما لا نصّ فيه، ثم الترجيح فيما اختلفت فيه الأنظار والاجتهادات >>.[1]

لقد كانت دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سلفية في منهجها مع مراعاة الواقع الخاص للمجتمع الجزائري، فهي ترى ضرورة الرجوع إلى المشارب الإسلامية الصافية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة، والاعتماد على فهم السلف الصالح لها، وقد كانت ألسنة العلماء المصلحين صريحة في النطق بها، ومناهجهم التربوية والتعليمية والإرشادية وحتى الصحافة المكتوبة مظهرة لها.

ولعل أهم اعمال الجمعية التي يدين لها بها المجتمع الجزائري والمجتمع الإسلامي هي الرد على خرافات وأباطيل بعض الطرق الصوفية العميلة للاستعمار، ومحاربة كتائب التبشير.

1-1-موقف بن باديس والجمعية من بعض الطرق الصوفية العميلة للاستعمار:

تعني الزاوية والمرابطين في لغة المغرب العربي الطريقة الصوفية ومحلها ولقد لعبت الزوايا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي دورا مهما في المحافظة على الإسلام والتراث العربي ونشر الدعوة الإسلامية بين الناس،[2] فكانت تعتبر مراكز دينية وثقافية واجتماعية، كما اعتبرت في فترة ما خلايا سياسية وعسكرية حيث انطلقت منها كثير من الثورات خلال القرن التاسع عشر.

والحقيقة أنّ بعض هذه الزوايا سرعان ما انحرفت عن مبادئها وأهدافها، وأصبحت عميلا للاستعمار الفرنسي ومعينا له على الجزائريين، فأفسدت عقائدهم، ونشرت بينهم الخرافات والأباطيل والبدع حتى أصبح الجاهلون من الجزائريين يعتقدون في بعض شيوخ الطرقية أنهم القابضون للأرواح، وأنّ منزلتهم تفوق منزلة الأنبياء والرسل، وأنّ كل من انتسب إلى

[1] احمد طالب الابراهيمي، **آثار الامام البشير الابراهيمي**، ج1، مرجع سابق، ص48.
[2] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص351.

طريقتهم يدخل الجنة بدون حساب، فاستعبدوا الجاهلين من الناس، وأطلقوا عليهم اسم "المريدين"، واستغلوهم في أعمالهم الخاصة وتجارتهم وزراعتهم، وإليك العلامة الإبراهيمي يرد عليهم ساخرا من خبث نيتهم وسذاجة مريديهم: "... فالقوم عارفون بالله، وإن لم يدخلوا كتّابا، ولم يقرؤوا كتابا، وكل من ينتسب إليهم فهو عارف بالله بمجرد الانتساب أو بمجرّد اللحظة من شيخه.

... وكان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراحل التربية "الخلوية" لمعرفة الله بثلاثة أيام (فقط لا غير) تتبعها أشهر أو أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر ورعي البقر، وحصاد الزرع وبناء الدور مع الاعتراف باسم الفقير، والاقتصار على أكل الشعير، وإن سألتهم لم نزّلتم مدة الخلوة إلى ثلاث أيام؟ ليقولن فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء، فقل لهم: قاتلكم الله، ولم نقصتم مدّة الخلوة، ولم تنقصوا مدّة الخدمة أيها الدجاجلة >>.[1]

وأمام هذا الجمود الفكري، وهذا الخضوع الأعمى لبعض الشيوخ وطقوسهم المعقدة والخرافات والبدع المشؤومة وجدت السلطات الاستعمارية ضالتها فأحكمت سيطرتها على كل الجوانب في حياة البلاد، وتمادى الكولون في استعباد الجزائريين البسطاء، وقد كتب الإبراهيمي ذات مرة في جريدة البصائر يقول: " وأسأل الحقيقة تجبك عن نفسها بأنّ الكثير من هذه القباب إنّما بناها المعمرون الأوروبيون في أطراف مزارعهم الواسعة بعدما عرفوا افتتان هؤلاء المجانين بالقباب واحترامهم لها، وتقديسهم للشيخ عبد القادر الجيلاني، فعلوا ذلك لحماية مزارعهم من السرقة والإتلاف، فكل "معمر" يبني قبة أو قبتين من هذا النوع يأمن على مزارعه السرقة ويستغني عن الحراس، ونفقات الحراسة".

[1] محمد البشير الابراهيمي، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مرجع سابق، ص31-32.

وقال: " وكان يحضر "المعمر" معهم الزردة، ويشاركهم في ذبح القرابين ليقولوا عنه أنّه محب للأولياء وخادم لهم، حتى إذا تمكن من غرس هذه العقيدة في نفوسهم راغ عليهم نزعا للأراضي من أيديهم وإجلائهم عنها، وبهذه الوسيلة الشيطانية استولى "المعمرون" على تلك الأراضي الخصبة التي أحالوها إلى جنّات، زيادة عن لوسائل الكثيرة التي انتزعوا بها الأراضي من أهلها".

ولقد أجاد ابن باديس عند تشبيه حالهم بحال الكنيسة في العصور الوسطى فقال:" إنّ الذين يعرفون تاريخ النصرانية في العصور الوسطى، وتاريخ النهضة الأوروبية يشهدون اليوم من اعمال الجمعية الدينية الإصلاحية وموقف الإدارة إلى جنب الزوايا الطرقية منحها صفحة من ذلك التاريخ الماضي تعاد على أرض الجزائر اليوم فالزوايا والطرقية تمثل الكنيسة ورجال "الأكليروس" في ذلك العهد السحيق في إفساد النفوس والعقول بالدجل والتحريف، والإدارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة واستغلالها، والجمعية الدينية الإصلاحية تمثل رجال الإصلاح على فارق في الوضع والأسلوب >>.[1]

وقد أوضح ابن باديس الأسس التي انطلق منها علماء الجزائر في استرجاع الشخصية الوطنية بقوله: " فالإيمان والتقوى هما العلاج لحالتنا، فنقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك، والأخلاق من الفساد فلا داعي إذن لتحقير أنفسنا ولا موجب للقنوط من رحمة الله، وليس لنا أن نستهين بما نزيله كل يوم من فساد، فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله ".[2]

1-2-موقف بن باديس من التبشير:

لقد اعتبر بن باديس و كثير من الجزائريين و علماؤهم وساستهم والعامة منهم أنّ استعمار فرنسا للجزائر سنة 1830 ما هو إلّا استمرار وامتداد للحروب الصليبية على الدول

[1] **مجلة البصائر**، عدد127 ص1.19أوت1938،
[2] محمود قاسم، **الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب جبهة التحرير الجزائرية**، مرجع سابق، ص50.

الإسلامية في المغرب العربي، لذلك كانت جلّ الثورات تنطلق باسم الجهاد وأساسها ديني وقادتها من العلماء ، واستغلت السلطات الاستعمارية نتائج سياسة الأرض المحروقة من بؤس وجوع وفقر وأمراض وتشرد للشعب الجزائري خاصة في الأرياف و المداشر فحاولت ردّهم عن لدين الإسلامي إلى النصرانية فقد أسس الكاردينال لافيجري جماعة من "الآباء البيض" وجعل بلدة الحراش القريبة من العاصمة مركزا رسميا لها، وبلغ ما لدى الجمعية من مؤسسات حتى 1930 26 معهدا دينيا، منها 21 في شمال إفريقيا و5 في فرنسا، 133 مركزا للتبشير الديني يعمل فيها نحو 500 راهب وراهبة.

وأقيمت دور للأيتام الجزائريين برعاية المبشرين في كل حي من حي ابن عكنون وبوزريعة في العاصمة، وبطيوة بالقرب من مدينة أرزيو، وكانت جميع هذه المؤسسات تعمل بوحي من تصريح الكاردينال لافيجري: " علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدينة وحيها الإنجيل ... تلك هي رسالتنا الإلهية ...".[1]

ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله: " ومن خصوم العلماء البارزين أيضا رجال التبشير المسيحين، والعلماء كانوا يعرفون دور الكنيسة في الجزائر حيث كانت رفقة جيش الاحتلال منذ اللحظة الأولى، وكانت تبارك تحويل المساجد إلى كنائس، وكان رجالها يقدمون الخدمات الجليلة إلى الإدارة الاستعمارية بما لديهم من كفاءة لغوية وعلمية وفنية، وكان العلماء يذكرون ما قامت به الكنيسة من تنصير لأطفال المسلمين أثناء مجاعة سنوات 1867-1869 ودور الكاردينال لافيجري ورجاله "الآباء البيض" في المس بكرامة المسلمين والتشكيك في دينهم وقيمه ومحاولة تمسيح الجزائريين بفتح المراكز في القرى النائية في الجبال والصحاري". [2]

[1] أحمد الحطيب، **العلماء المسلمين الجزائريين وأثارها الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص55.
[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج3، مرجع سابق، ص97.

قال محمد البشير الإبراهيمي: "وهذا التبشير المسيحي "الإنساني" يرى أن أعدى عدو له المصلحون المسلمون، لأنهم يدعون إلى الإسلام النقي، والإسلام النقي لا مطمع للتبشير في طرق حماه". فقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ألدّ أعداء المبشرين، تتصدى لحملاتهم التبشيرية على لسان علمائها في المساجد ولنوادي والمؤتمرات، وحتى في الحياة العامة للجزائريين البسطاء، وتنسف حججهم الباطلة على صفحات الجرائد والمجلات، فكانوا حجر عثرة في طريق دعوتهم لأن دعوة الجمعية كانت كما ذكر الشيخ الإبراهيمي دعوة إلى الإسلام النقي.

وقد أشار –رحمه الله–إلى أنّه من المعقول أن يثمر التبشير في القطر الجزائري لأسباب ذكر منها: تقادم عهده، وثانيها صولة وقوة الاستعمار الفرنسي الذي يحميه، وثالثا: تفشي الجهل والأمية والفقر في المجتمع الجزائري فهو عرضة لقبول التبشير عن طريق المعونات المادية والخدمات الصحية التي تعرض على الجزائريين من طرف الكنيسة لاستمالة قلوبهم، ورابعا: انتشار الطرقية التي هي ظئر التبشير وكافلته والممهدة له حسا ومعنى، وخامسا: قعود العلماء عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل تأسيس الجمعية.

ويرجع الإبراهيمي عدم نجاح التبشير رغم طول المدة واستكمال العدة إلى تصلب الفرد الجزائري في دينه مهما بلغت العامية والأمية والفقر.[1]

ويرى الإبراهيمي أن السلاح الفتاك للقضاء على الحملات التبشيرية هو المال فيقول: "وإنما السلاح الماضي الفتاك في هذا الميدان هو المال، كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء والممرضات يوحّد الجميع أخلاق ممتازة من الصبر والثبات والإيمان الحازم لحسن

[1] محمد البشير الابراهيمي، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مرجع سابق، ص 69.

عاقبة ما وقفوا أنفسهم له، ولو عند أغنياء المسلمين بعض ما عند هؤلاء من سماحة اليد في سبيل الدين ليطووا هذا التبشير الزائغ ولينشروا الإسلام في أقطار الأرض كلها". [1]

-المطلب الثاني: ابن باديس والنشاط الاجتماعي:

لقد أسس بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أحضان المجتمع الجزائري، وأصبحت جزءا منه، يحفظ له مقوماته، ويربطه بجذوره، ويعمل على تقدمه ورقيه، وهذا كله بفضل التجاوب الواسع لجميع طبقات المجتمع الجزائري مع جمعية العلماء، وتبنيها لدعوتها وأهدافها.

قال البشير الإبراهيمي: "نقول إن الجمعية "جمعية العلماء المسلمين "كونتها الأمة، ونزيد القول بأن أفراد الأمة أنصار لها شعروا أو لم يشعروا.

ومعنى هذا أنه ما تهيأت وسائل تكوين الجمعية وتهيأت أسبابها إلا بعد أن صارت حاجة من حاجاتها وإلا بعد أن استلزمتها ضرورتها الاجتماعية واقتضتها سنة تعاقب الأطوار".[2]

إذا ما نظرنا للقاعدة الاجتماعية والاقتصادية التي تأسست منها جمعية العلماء نجد أنها متكونة من فئتين، الفئة الأولى وهم العلماء، فباستثناء ابن باديس لم يكونوا من ملاك الأموال وأغنياء الناس وإنما كانوا يتقاضون أجورهم الشهرية مما يقدمه إليهم أعضاء الجمعية المحلية وأنصار الجمعية من مساعدات، وأما ابن باديس المنحدر من أسرة مشهورة بالثراء والجاه فقد كان والده من أرستقراطي مدينة قسنطينة وبالتالي فإنه مكتفيا بما كان يغدقه عليه والده من أسباب الحياة، ولم يقبض طيلة حياته أي أجر يذكر مقابل نشاطه التربوي.

[1] نفس المرجع، ص70.
[2] احمد طالب الابراهيمي، **آثار الامام محمد البشير الابراهيمي**، ج1، مرجع سابق، ص128.

وأما الفئة الثانية، أو أعضاء الجمعية المحلية، فيتكون أغلبهم من أوساط الملاكين، وأصحاب المصانع الصغيرة والتجار وكبار الحرفيين والموظفين والمثقفين الذين ينحدرون في أغلبهم من الطبقة الأرستقراطية التي عرفتها الجزائر قبل الاحتلال، وإيمانا منها بضرورة المحافظة على الجذور التاريخية وثوابت الشخصية الجزائرية، وإيمانا منها بأهداف الجمعية تقدمت لمساعدتها وتمويلها، وبذلك شكلت هاتان الفئتان القاعدة الأساسية للحركة الإصلاحية في الجزائر.[1]

لقد حصر الكثير من الناس نشاط بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المجال الديني وأن لا علاقة لها بأحوال لناس وشؤون حياتهم، وفي الحقيقة أن هذه الفكرة تعارض مبدأ الرجوع إلى الدين الإسلامي الصحيح الذي دعت إليه الجمعية، حيث لا يمكن بحال من الأحوال الحديث عن الإصلاح الديني دون الحديث عن الإصلاح الاجتماعي، قال الإبراهيمي في الاجتماع العام الخامس للجمعية [2]في خطبة تحت عنوان: "الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي":

"أيها الإخوان: من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس، ومن فروع هذا الغلط ما رماها به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل، من أنّها خرجت عن مدارها حيث زحت بنفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين.

والحقيقة أن بن باديس و هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام، وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها، فالإسلام دين واجتماع، إذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، وإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي".

[1] احمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وآثارها الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص221-222.
[2] **مجلة البصائر**، السنة الأولى، العدد37، الجمعة2أكتوبر1936م.

لقد عمل العلماء المصلحون على تغيير كثير من المفاهيم الخاطئة في المجتمع الجزائري منها ما يتعلق بدور العلماء الاجتماعي فضلا عن تصدرهم لمقام الفتوى في المسائل الفقهية، فالعلماء حلقة ضرورية لاستكمال بناء المجتمع الصالح سواء في تماسكه، أو نشر الفضيلة و السلوكيات الاجتماعية الحسنة بين أفراده، والتحذير من الرذيلة و السلوكيات المعيبة التي تؤدي إلى زواله، وفي هذا يقولا العلامة الإبراهيمي: "... فقد كان الناس بهذا الوطن إلى ما يتصل بالنهضة لا يعرفون من العالم إلا رجلا منعزلا عن العالم، لا هم له إلا بما يتصل بمعيشته، وأكبر أمره بينهم أن يفتيهم في المسائل الجزئية التي لا تتجاوز واحدا كمسائل الصلاة والصوم أو اثنين كأحكام النكاح والطلاق أو حيا وميتا كموص ووصي أو إنسانا وبهيمة كراع وشاة وفذها.

فهو يفتي في الطلاق ولا يبحث عن أسباب الطلاق الفاشية، ويفتي في الإيمان ولا ينهى الناس عن الحلف ولا عن الحنث فيه بعد انعقاده، ويحرّم الخمر والميسر ولا يبين للناس مضارها ولا يزجرهم عن تعاطيها –وبالجملة فهو رجل انقطعت الصلة بينه وبين أهل زمنه فإن قدرت له ملابسة الناس جمع جماعة قليلة يقرؤهم درسا خاصا لا علاقة له بحالهم، أو يتلو معهم حزبا".

كما أن الدعوة التي دعت إليها الجمعية لم تمنعها من الأخذ بالأسباب المدنية الحديثة وكانت شعاراتها دائما "التقدم"، "الترقي"، "النهضة"، ونادت باعتماد الأساليب الحديثة العصرية في مجال التربية والتعليم ثائرة على كل ما وصف بالقديم والتقليدي.

وتعتبر وصايا ابن باديس سنة 1926م خير دليل على تبني جمعية العلماء للمدنية الحديثة والانتفاع بخدماتها، قال: " هاك ما إن تمسكت به كنت إنسان المدنية ورجل السياسة وسيدا حقيقيا يرمق من كل أحد بعين الاحترام والعظمة ... حافظ على صحتك فهي أساس سعادتك وشرط قيامك بالأعمال النافعة لنفسك ولغيرك ... نظّف بدنك، نظّف ثوبك تبعث

الخفة والنشاط في نفسك ... احذر كل " متعيلم" يزهدك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة ... كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق العشرة والتعامل، كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلحتك وفي تمدنك ورقيك ... احذر من التوحش فإن التوحش في عصر المدنية محكوم عليه بالتناقض ثم الفناء والاضمحلال والاندثار كما فنيت جميع الأمم المتباعدة عن التمدن والرقي، احذر من التعصب الجنسي الممقوت فإنه أكثر علامة من علامات الهمجية والانحطاط، كن أخا إنسانيا لكل جنس من أجناس البشر ...". [1]

إنّ الإصلاح الاجتماعي الذي دعت له جمعية العلماء يقرر أن الرجوع إلى الإسلام الصحيح يثمر مجتمعا مثاليا كالذي شهده عصر الرسالة، وكان أفراده صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الطبيعي أن يرفض العلماء المصلحون جميع نظريات التغيير الاجتماعي والتيارات العقدية التي انتشرت في الساحة الأوروبية آنذاك، ولقد ورد في مجلة الشهاب مقالا تحت عنوان: " نحن مسلمون وكفى" ما نصه: " إنّ الإسلام الذي ندين به: هو دين جامع لكل ما يحتاجه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم، فهو دين لتنوير العقول، وتزكية للنفوس، وتصحيح العقائد، وتقويم الأعمال ... فلا يحتاج إلى ما يتناحر عليه الأوربيون من مبادئ أحزاب وجمعيات، ليس في استطاعته شيء منها أن يصلح حالهم لا في السياسة ولا في الاجتماع ..." .

لقد استهدفت جمعية العلماء بنشاطاتها الاجتماعية جميع طبقات المجتمع الجزائري وأولت فئة الشباب اهتماما خاصا لأن الحركة الإصلاحية تتوقف على حماسه وفعاليته وتبنيه لدعوة وأهداف الجمعية، وإضافة إلى المؤسسات التربوية التعليمية والمساجد سعت

[1] **مجلة الشهاب**، ج11، م10، أكتوبر 1934م، ص482.

الجمعية إلى احتواء الشباب وتكتله في النوادي الثقافية والفرق الكشفية لتلقينه تربية اجتماعية وتشبعه بالروح الوطنية.

1-3-النوادي الثقافية:

لقد شجع بن باديس وجمعية العلماء إقامة النوادي الثقافية الاجتماعية ليجتمع فيها الشبان الجزائريون على اختلاف نزعاتهم الفكرية والسياسية والثقافية، ويمكن عن طريق البرامج الثقافية والعظات الدينية التي تقدم في النادي وضع هؤلاء الشباب في جو مشبع بمبادئ الإسلام والعروبة.[1]

كان كل ناد من النوادي الثقافية التابعة للحركة الإصلاحية يتألف بصورة عامة من قاعة اجتماعات وغرفة للصلاة ومقهى صغير تقدم فيه المشروبات المباحة.

كانت ميزانية هذه النوادي من الاشتراكات يدفعها الأعضاء، ومن حصيلة بيع المشروبات لروادها، ويخصص جزء من الإيرادات لمساعدة المدارس الإصلاحية في تلك الناحية، لذلك أصدرت السلطات الاستعمارية قرار في جانفي 1938م يمنع بيع المشروبات داخل النوادي الثقافية إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية، قال الإبراهيمي: "... ومغزى هذا القرار هو إغلاق النوادي لأنها لا تقوم إلا على أثمان المشروبات التي تقدمها لأعضائها، فإذا حرمت منها لم يبق لها مورد إلا اشتراكات الأعضاء وهي لا تكفي".[2]

لقد تنوعت نشاطات النوادي الإصلاحية من الدينية وثقافية وفنية واجتماعية، فتلقى فيها المحاضرات والدروس والمواعظ وتنعقد فيها المؤتمرات والمهرجانات بمناسبة الأعياد الدينية وتقام فيها التمثيليات، قال محمد البشير الإبراهيمي: "... وطبقات الأمة ثلاث متفاوتة الشعور والإدراك، ولكنها مشتركة في القابلية والاستعداد وهي: الشيوخ والشباب والأطفال

[1] احمد طالب الابراهيمي، **آثار الامام البشير الابراهيمي**، ج4، مرجع سابق، ص174.
[2] نفس المرجع، ص173-174.

فرأت الجمعية أن تَصرِف عنايتها على الطبقات الثلاث في آن واحد، كل طبقة على قدر استعدادها، ولكن أين تلتقي بهذه الطبقات؟

فإذا التقت بالشيوخ والكهول ورواد المساج في المساجد، والتقت بالأطفال في المدارس التي شيدتها للالتقاء بهم فيها، فأين تلتقي بالشبان الذين فاتتهم المدرسة والمسجد معا؟ ولكن عزيمة الجمعية لا تقف في طريقها الصعاب، فأنشأت مشروع "النوادي" لتكون وسطا طبيعيا بين لمساجد والمدارس، وتلتقي فيها بالشبان الذين هم وسط طبيعي بين الشيوخ والأطفال ..." ثم قال –رحمه الله–في غمرة نشاط الجمعية مع الشبان في هذه النوادي: "... فكان لمشروع النوادي آثار في الشبان تساوي آثار المدرسة في الأطفال وتفوق آثار المساجد في الشيوخ والكهول ومن النوادي خرج الشبان إلى المسجد يؤدون حق الله، وإلى ميادين العمل يؤدون واجبات المجتمع".

ومن بين أشهر النوادي الإصلاحية، نادي الترقّي بالعاصمة الذي تأسست فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نادي صالح باي بقسنطينة، نادي الاتحاد في قسنطينة، النادي الإسلامي في ميلة، نادي التقدم بالبليدة، نادي النجاح في سيدي بلعباس، نادي العمل في سكيكدة، نادي الشبان المسلمين في قالمة.[1]

1-4-الكشافة:

يعتبر النشاط الكشفي من بين أحد أهم النشاطات الثقافية والاجتماعية التي كانت منتشرة آنذاك، باعتباره أداة فعالة لإرشاد وتوجيه الشبان نحو القيم والمبادئ الوطنية.

لقد حاز محمد بوراس قصب السبق في تأسيس أول فوج للكشافة الجزائرية العربية الإسلامية سنة 1930م في مدينة مليانة، وأطلق عليه اسم "فوج الخلود"، ثم أنشأ فوجا آخر بالعاصمة "فوج الفلاح".

[1] احمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وآثارها الإصلاحي في الجزائر**، مرجع سابق، ص228-229.

لقد تأثّر محمد بوراس بمبادئ وأهداف الحركة الإصلاحية وارتبط ارتباطا كبيرا بعلماء الجمعية أمثال عبد الحميد ابن باديس والطيب العقبي، وسعى في سنة 1935م إلى تأسيس جامعة للكشافة الإسلامية، بقصد لم شمل جميع الأفواج الكشفية المشتتة في المدن الجزائرية، ولكن الإدارة الفرنسية رفضت طلبه، وكان عليه أن ينتظر حتى تتولى "الجبهة الشعبة" الحكم في فرنسا لكي يؤسس عام 1937م أول تنظيم كشفي وطني عرف باسم "الكشافة الإسلامية الجزائرية S.M.A"، وانعقد أول مؤتمر لهذا التنظيم في شهر جويلية 1939م بالعاصمة برئاسة عبد الحميد بن باديس الفخري وكان شعار الكشافة الإسلامية الجزائرية نفس شعار الجمعية لعلماء المسلمين الجزائريين ((الإسلام ديننا. العربية لغتنا الجزائر وطننا)).

فتبين لنا ان الحركة الكشفية تأسست وترعرعت في أحضان الحركة الإصلاحية التي توجهها جمعية العلماء، وكان المصلحون يشجعونها ويساعدون ويشاركون في تجمعاتها ومؤتمراتها وكما كانت الأناشيد الحركة الكشفية الجزائرية من نظم شعراء الحركة الإصلاحية الوطنية مشبعة بروح الوطنية في ضوء مبادئ الإسلام والانتماء العربي.

-المطلب الثالث: ا **بن باديس والجمعية ونشاطهم السياسي:**

لقد سبق لدينا ان بن باديس و جمعيته هي جمعية دينية تهذيبية تعليمية، فمهما تنوعت نشاطاتها فإنها تسعى الى المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، ولقد حاول العلماء ما أمكنهم الابتعاد عن الشؤون السياسية ولعل هذا المنهج هو أثر لنصيحة قدمها الشيخ محمد عبده لرجال العلم في تونس أثناء زيارته لها سنة 1905م حيث طلب منهم : مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة ،وبهذا الأخير يتم لهم كل ما يريدون من

مساعدة الحكومة الفرنسية لهم...، وهذا الاعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات.... .[1]

ولا يعني هذا ان العلماء المصلحين لم يشتغلوا بالسياسة، وكانت المرحلة عصيبة في تاريخ الجزائر، فالعلماء وطنيون شبوا على حب بلادهم قال بن باديس: نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه ونخلص كل من يخلص له، نناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه.

عند تأسيس جمعية العلماء سنة1931م، لم يرد في نظامها الأساسي أي بند يشير إلى انتهاجها النضال السياسي، وهذا حتى يتسنى له الحصول على مرسوم الاعتماد من الإدارة الفرنسية وحتى لا تثير الشكوك حولها، ولكن أنى يتحقق الإصلاح المنشود الذي تهدف اليه الجمعية دون تحقيق الهدف السياسي الكبير والمتمثل في الحرية والاستقلال.

لقد ذهب الكثير من الباحثين الى ان جمعية العلماء المسلمين هي حركة سياسية إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرير العربية التي عمت العالم العربي والعالم الإسلامي في بداية القرن العشرين.[2]

قال الأستاذ عبد المجيد النجار : لم نجد في أثار الامام بن باديس ما يشير الى انه دعا بصفة مباشرة الى الاستقلال من الاستعمار الفرنسي، أو انه دعا الى ال الثورة على فرنسا من أجل تحقيق هذا الاستقلال بل على العكس من ذلك كثيرا ما نجده ينفي عن جمعية العلماء التي يراسها نغمة الهيجان على السلطة الفرنسية ،والعمل على الثورة ضدها ،بل كان كثيرا ما كان يظهر انه وجمعيته يبتعدون عن العمل السياسي ويتفرغون للعمل التهذيبي ،فهل

[1] مجلة الشهاب، ج6، م 11، أوت 1935، مرجع سابق، ص 365.
[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، مرجع سابق، ص 244 – 245.

يكون ابن باديس غير واع بضرورة استقلال الشغب الجزائري وغير عامل ضمن استراتيجيته الإصلاحية على ما يحقق خلال الاستقلال.

لا يمكن أن يخطر على بال الدارس بعمق لشخصية ابن باديس في بعدها الديني ولأفكاره وحركته الإصلاحية، ان يكون التحرر من الاستعمار الفرنسي غير وارد على وعيه، او غير مندرج ضمن خطته الاصلاحية ،وانما لم يجعل ذلك شعارا معلنا ،ولم يمضي فيه على وجه العمل المباشر ،كان ذلك منه تصفا واعيا ومندرجا ضمن استراتيجيته بعيدة المدى التي يكون فيها التصريح بمطالب الاستقلال والعمل المباشر من أجله عاملا مناقضا لتهيئة الأسباب التي تتضح بها الثمرة في ابانها ،ولا تحبط من في الطريق قبل الأوان فيبوء العمل الإصلاحي كله بالخسران كما خسرت حركات كثيرة في مثل هذا الشأن حينما لم توفر الأسباب ،ولم تهيئ المناخ الملائم الذي يتحقق فيه المطلب .

كان نشاط بن باديس وجمعية العلماء في الميدان السياسي خاضعا للظروف والعوامل السياسية التي كانت تمر بها البلاد، ومن هنا فقد اتسم هذا النشاط بالمرونة والتكيف مع الظروف، فعندما يشتد الضغط الاستعماري يخف نشاط العلماء وتظهر استعانتهم بعبارات التورية والمسالمة، وعندما يسود التسامح يعود النشاط الى البروز بوسائل مختلفة، وعلى الرغم من كل الظروف فان مباد ئ العلماء وأهدافهم لم تتغير في جوهرها.[1]

فالنشاط السياسي لبن باديس والجمعية العلماء كان على قدر كبير من الحيطة والحذر لئلا تقوم السلطات الاستعمارية بحل الجمعية ومن ثم القضاء على جميع مكتسباتها التي حققتها ،وبفضل ذكاء ومهارة ودبلوماسية العلماء المصلحين تمكنت الجمعية من مواصلة جميع نشاطاتها حتى السياسية منها رغم العراقيل والعقبات التي كانت تحيكها الإدارة الفرنسية ، يقول الأستاذ سعد الله :وكانت الجمعية في سيرها تمشي على حبل رقيق ،فهي تأمل وتحتج

[1] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، مرجع سابق، ص 236 – 237.

، تسخط علة إدارة فرنسا في الجزائر وتثق في ديمقراطية فرنسا في أوروبا، وتطالب بالحرية والاستقلال للجزائر ولكن عن طريق فرنسا ،وتثور على رجال الدين ،الذين تستعملهم فرنسا ،وتدعوا الى وحدة رجال الدين ولو كانوا من المحافظين الموالين لفرنسا ، وتحذر النواب والنخبة من مغبة الادماج والمطالبة بالمساواة في الحقوق وتستنجد بهم ضد منع الإدارة صحفها وعلماءها ومساجدها من ممارسة نشاطها.

ولا تتردد الجمعية إذا ما اقتضت الضرورة ان تتحالف كما زعم بعضهم حتى مع الشيوعيين والفاشيين واليهود، ضد الإدارة الفرنسية بالجزائر، ولعل هذا التكتيك هو الذي جعل الجمعية محل نقد ممن لم يفهموا حقيقة خطتها، ولا نستبعد ان تكون الإدارة الفرنسية قد حلت الجمعية وقضت عليها في مهدها لو لم تختر هذا الطريق المحفوف بالأخطار والمزالق.

ولقد علمت وتيقنت الإدارة الفرنسية ان أكبر خطر يهدد وجودها بالجزائر في تلك المرحلة هي جمعية العلماء المسلمين ، لما لها من ابعاد وطنية أثمرتها مناهجها التربوية التعليمية ، يقول الأستاذ سعد الله :في احدى التقارير السرية التي كتنها المسؤولون الفرنسيون في أوائل الخمسينات ان العلماء كانوا يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية بالجزائر، فشعب جمع شعبة مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية ن والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية ،وأنهم يجدون تأثيرهم الأكثر عمقا لدى الأثرياء والعائلات الكبيرة وأصحاب الأموال ،وأن أكثر من40% من السكان معهم....

فلولا حنكة العلماء في التدبير والسياسة التي دارت بين استعمال اللين في المواقف والحزم في مواقف أخرى لقضى على جمعية العلماء وجميع آمالها ، واليك مثال للبشير الابراهيمي في مخاطبة الحكومة الفرنسية نشر على صفحات جريدة البصائر سنة1939م : ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامي في سيرها وأعمالها ، جزائرية في مدارها وأوضاعها ،علمية في مبدئها وغايتها...،ثم يقيم الحجة القانونية على المستعمر الفرنسي في

لين والاعتراف فيقول :...ان هذه الجمعية مستمدة في نظام تأسيسها على القوانين الفرنسية التي تتسع لحرية الاجتماع وحرية الجمعيات ،ولم احد منذ تأسيسها لحد الآن عن المقاصد والأعمال التي أسست لأجلها ،وان كل أعمالها ظاهرة مشهودة ،وان جميع أعضائها جزائريون تجري عليهم قوانين الفرنسية ،وان كل ما تقوم به فهو مما تبيحه القوانين الفرنسية ،ثم يقوم الشيخ الابراهيمي بهاجمة الحكومة ويستعطفها فيقول :..ومع كل هذا كله لم تزل الحكومة الفرنسية تعامل هذه الجمعية معاملة قاسية ،وتمعن في التشريعات الجائرة لقتل حركتها التي هي حركة الإسلام والعربية بهذا الوطن ، وتطارد رجالها القائمين على التعليم كما يطارد المجرمين ،وتغلق مدارسها التهذيبية كما تغلق المحلات الضارة، وتنتزع رخص التعليم من أيديهم بلا سبب قانوني ، وتمتنع من إعطاء الرخص لطالبيها منهم بلا مانع قانوني ،ثم التصامم في الأخير عن سماع كل شكوى وكل مراجعة.

ولقد قطع الابراهيمي قول كل خطيب وحسم الأمر في مذكرته الايضاحية التي اوفدها في جانفي 1953م الى وزارة المعارف المصرية ومشيخة الأزهر وجامعة الدول العربية حول المسمى السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث قال: لجمعية العلماء في كل نقطة في كل نقطة من السياسة الجزائرية رأي أصيل ،تجهر به وتدافع عنه وتذيعه في الناس وتخالف رأي غيرها بدليل ،وتوافقه بدليل، لأنها لا تقبل التقليد في الدين وكيف تقبله في الدنيا ،وصفوة راي الجمعية في السياسة الجزائرية تحرير الجزائر على أساس العروبة الكاملة والإسلام الصحيح والعلم الحي ،وعلى ذلك فهذه الجهود الجبارة التي تبذلها الجمعية في سبيل العربية والإسلام والتعليم كلها استعداد للاستقلال ،وتقريب لأجله ،ولكن كثيرا من قومنا لا يفقهون.. .[1]

يقول الأستاذ سعد الله: الحقيقة ان العلماء كانوا مصلحون بالمعنى الشامل للإصلاح والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدا بالثقافة لو بالدين او بالمجتمع، ولكنه في بداية الأمر

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، مرجع سابق، ص 171.

يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما، بما في ذلك السياسة، وهذا بالضبط ما حدث بالإصلاح بالجزائر. [1]

وحتى يتضح لنا ما معنى ضلوع الجمعية في النشاط السياسي سنتتبع هذا النشاط عبر مرحلتين، المرحلة الأولى من سنة تأسيسها 1931محتى وفاة ابن باديس 1940م، اما المرحلة الثانية فتمتد من سنة 1940م حتى بداية مرحلة الثورة التحريرية 1954م.

3-1-المرحلة الأولى(1931م-1940م):

تعتبر هذه المرحلة من أهم وأحرج المراحل التي مرت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهي مرحلة التأسيس والنمو، فتميز نشاط الجمعية بالرصانة والحذر والابتعاد عن كل شبهة تؤدي الى وأد الجمعية في مهدها، فاشتغلت بالتعريف بنفسها ودعوتها ومبادئها، وحاولت غرس أهدافها في همم الشعب الجزائري كبارا وصغارا، ورجالا ونساء كما كانت منشغلة بتصفية هياكلها من الداخل بطرد رجال شيوخ الصوفية والإدارة الفرنسية وإعادة تنظيم نفسها ليحصل لها الاستقرار.

قال الأستاذ سعد الله يصف مواقف العلماء المصلحين في هذه الفترة ...فقد كانوا يمشون على بيض كما يقول المثل الأجنبي، فهم من جهة كانوا يريدون تحقيق مبادئهم وأهدافهم بأية وسيلة مشروعة، ومن جهة أخرى كانوا واقعين تحت طائلة إجراءات استثنائية مستعدة لعرقلة سيرهم، بل لوضعهم في قفص الاتهام لذلك كانوا يناورون ما وسعتهم الحيلة والمناورة ويجاملون ولكنهم لا يتنازلون عن مبادئهم. [2]

وحفاظا على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمكسب ثمين للمجتمع الجزائري العربي المسلم، كان العلماء المصلحون وعلى رأسهم بن باديس يفرق في كثير من المواقف

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سابق، ص 88.
[2] نفس المرجع، ص 93.

السياسية خاصة منها ما يقوم به باسم جمعية العلماء وما يقوم به باسمه الشخصي فكان في الحالة الأولى لا يخرج عن دائرة التشريعات والقوانين، ولا يتردد في الحالة الثانية من استعمال لهجة العنف والاحتجاج ضد الإدارة الفرنسية.

من تلك النشاطات التي قام بها عبد الحميد بن باديس دعوته الشعب الجزائري لمقاطعة الاحتفالات المئوية 1930م، ومنها تمكنها من امتصاص غضب سكان قسنطينة سنة1934م، فيما يعرف بفاجعة قسنطينة، حيث نشبت معارك بين المسلمين واليهود إثر قيام اليهودي "الياهو خليفي "إثر صلاة العشاء، بسب النبي صلى الله عليه وسلم في حضور الجميع من نافذة المسجد وهو سكران، ولم يستطع أحد تهدئة الأوضاع الا عبد الحميد بن باديس وبذلك أدرك الفرنسيون مكانته وثقله في المجتمع القسنطيني خاصة والجزائري عامة.

ان من أهم النشاطات السياسية وأهم الأحداث التي وقعت في هذه المرحلة وكان لجمعية العلماء دورا فعالا فيها هو انعقاد مؤتمر الإسلامي سنة 1936م.

3-1-1-دعوة بن باديس لعقد مؤتمر الإسلامي الجزائري 1936م:

لقد كان للتغييرات السياسية التي حدثت سنة 1936م في الجزائر وفرنسا، وحتى شمال افريقيا، والشرق الأوسط عموما، أثر بالغ الأهمية في خلق أملا لدى الجماهير الجزائرية الإسلامية في التقدم والتحرر، وأصبح زعمائهم يتطلعون باهتمام كبير الى النتائج الإيجابية لهذا التغيير.

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي انعقد في بالعاصمة في السابع من يونيو سنة 1936م أول تجمع من نوعه في الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمع تشترك فيه كل الاتجاهات وتمثل فيه كل الطبقات وتبرز خلاله وحدة الصف والكلمة على مطالب معينة مثل ما حدث في هذا المؤتمر. [1]

[1] نفس المرجع، ص 151.

ان فكرة الدعوة ال مؤتمر إسلامي جزائري تنسب الى عبد الحميد بن باديس الذي أدلى بحديث لصحيفة الدفاع –لسان الحركة الإصلاحية – التي كان يديرها بالفرنسية السيد الأمين العمودي في عددها الصادر يوم 3جانفي 1936م دعا فيه الى اجتماع كل المنظمات الجزائرية في مؤتمر إسلامي "جمعية وطنية " وذلك لوضع قائمة مطالب يطلبها الجزائريين من فرنسا، فابن باديس أول من فكر في الدعوة الى عقد هذا المؤتمر وذلك قبل مجيء الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا. [1]

في اليوم السادس من شهر جانفي 1936م اجتمعت بنادي الترقي كل القوى الجزائرية على اختلاف مشاربها وتدارس الجميع بجو مشبع بالإيفاء والشعور بالمصلحة العامة ومطالب الأمة الجزائرية، وقد حضر في المناقشة كل من الشيخ ابن باديس والشيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ خير الدين ،وذلك لإعطاء الآراء فيما يتعلق بالمطالب الدينية واللغة العربية واتفق الجميع في النهاية على ان يضم المؤتمر المزمع عقده من النواب، والعلماء، والشبان، وتستند رئاسته الى بن جلول، وذلك باقتراح من باديس، وفي يوم الأحد من جوان 1936م، انعقد المؤتمر بالعاصمة .

لقد شارك بن باديس وجمعية العلماء بفعالية في هذا المؤتمر، وكان بعض أعضاء مجلسها الإداري مثل بن باديس، الابراهيمي، العقبي، العمودي، خيرالدين، من أنشط المشاركين في لجانه. [2]

تقدمت الجمعية الى المؤتمر باسمها رسميا بمطلبين أساسيين يتعلق الأول منها باللغة العربية وضرورة تعليمها، وجعلها لغة رسمية في الجزائر الى جانب اللغة الفرنسية، ويشمل الثاني الشؤون الدينية الإسلامية مثل تسليم المساجد وأوقافها الى جمعيات دينية إسلامية، وتأسيس

[1] مجلة الشهاب، م 11، ج 4، جويلية 1936، ص 198.
[2] علي مراد، الإصلاح الإسلامي في الجزائر، مرجع سابق، ص 189.

كلية دينية لتخريج الموظفين الذين يتولون مهام دينية، وتنظيم القضاء الإسلامي ورفع مستواه.[1]

وتقدم بن باديس باسمه الشخصي – مراعاة وحرصا على جانب الجمعية من تعسف الإدارة الفرنسية – بمطالب أخرى لا تخرج في أساسها عن مطالب النواب والشبان منها:

– إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائريين "الأنديجينا" والمجالس العسكرية، وأعطيات الجندية، وتسوية النواب الجزائريين بالنواب الفرنسيين في جميع المجالس، وتوحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين "مجلس الجزائريين ومجلس المعمرين "والمساواة في الحقوق والواجبات.

– إلغاء الولاية العامة "منصب الحاكم العام" ووظائف القياد وإلغاء المحاكم العسكرية والعفو العام عن المحكوم عليهم في حوادث قسنطينة سنة 1934م.

ان من بين المسائل التي أثارت جدلا على الساحة آنذاك هو موافقة الجمعية على مطلب الحاق الجزائر بفرنسا وقد كانت عارضت سياسة الادماج والتجنيس !!.

ان لعلماء الجمعية بيانا وتفسيرا لهذا التعارض الذي ظهر في مواقفها، حيث ان العلماء فرقوا بين الجنسية القومية والجنسية السياسية، فالجنسية القومية هي مجموعة المقومات والمميزات التي يتمتع بها شعب معين، وتشتمل على اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلاله، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات. [2]

ولذلك فان الأمة الجزائرية تتمتع في نظر الجمعية "بجمع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية...وانه من المستحيل أضعافنا فيها فضلا عن ادماجنا فيها او محونا أما الجنسية السياسية فهي في عرف الجمعية "ان يكون لشعب ما يكون لشعب أخر من حقوق اجتماعيو

[1] الشهاب، م 12، ج 4، جويلية 1936، ص 211 – 212.
[2] **مجلة الشهاب**، م 12، ج 2، فيفري 1937.

ومدنية وسياسية، مثل ما كان عليه الأخر من واجبات اشتركا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما".[1]

فالجمعية وابن باديس إذ وافقت على الحاق الجزائر بفرنسا رغبة منها في حصول الشعب العربي الجزائري المسلم على الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الفرنسيون طالما ان قانون عام 1865م قضى: "باعتبارنا فرنسيين لكنه نفذ تنفيذا جائرا، فيفرض علينا جميع الواجبات الفرنسية دون حقوقها " ولذلك فقد:" نهضة الامة نهضتها بمؤتمرها الفخم الجليل وقررت فيه بالإجماع المحافظة التامة على المميزات الشخصية والمطالبة بجميع الحقوق السياسية

لقد سافر الوفد المشكل من 16 عضوا برئاسة ابن جلول ومثل فيه جمعية العلماء كل من عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي والطيب العقبي بمطالب المؤتمر التي وسمت بانها مطالب الامة الإسلامية الجزائرية الى باريس واستقبلهم عن الحكومة السيد أوبو المكلف بالشؤون الأهلية وكذلك السيد رجس نائب مدير مدينة الجزائر وكان ذلك في الثاني والعشرون من يوليو، واما في اليوم التالي فقد استقبله ليون بلوم رئيس الوزراء، موريس فيوليت وجول موش وغيرهم وخلال المقابلة عبر ابن جلول رئيس الوفد على ثقة الجزائر في الجبهة الشعبية وحكومتها، وفي النهاية أصدرت الحكومة تصريحا ورد فيه: ان رئيس الوزراء قد شكر الوفد على كلمته وعلى الفرحة التي غمرته عندما استقبل فرنسيون فرنسيين آخرين وديمقراطيون ديمقراطيين آ خرين، وقد ذكر الوفد بأن الحكومة قد شرعت فعلا في اتخاذ عدة إجراءات لصالح الجزائر وأوضح أنه ستنفذ إجراءات أخرى .[2]

لكن ابتداء من شهر جويلية 1936م بدأت جمعية العلماء تعاني من المشاكل التي نجمت عن تزعمها للمؤتمر الإسلامي وتعاونها مع الأحزاب السياسية الأخرى بقصد

[1] نفس المرجع، ص 122.
[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 3، مرجع سابق، ص 160-161.

الحصول على التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي وتعليم اللغة العربية في المدارس الجزائرية، وقد ابتدأت المؤامرة في 18جويلية 1936م يوم تمكن الحاكم العام للجزائر ان يضغط على مفتي الجزائر العاصمة الشيخ كحول لكي يصدر فتوى يقول فيها بأن أعضاء المؤتمر الإسلامي لا يمثلون السكان المسلمين للجزائر، وبأنهم عبارة عن أقلية من المهرجين الذين يريدون إثارة الفوضى في البلاد، كما قال بأن من يدعون بأنهم العلماء وهم لا يحملون شهادات علمية أو رتب حقيقية، قد ذهبوا الى باريس بقصد مطالب سياسية ودينية، ثم قال في فتوته التي بعث بها الى الحكومة الفرنسية بأن أعضاء المؤتمر الإسلامي غير مؤهلين ولا يحق لهم الحديث باسم المسلمين الجزائريين، وأن مفتي الجزائر يحتج على تدخل أعضاء المؤتمر الإسلامي في الشؤون الدينية للجزائريين .[1]

وفي شهر أوت لقي هذا المفتي حتفه حيث تم اغتياله من طرف مجرم اسمه عكاشة، واعترف هذا القاتل بجريمته، و ذكر أنه انما قتل بدافع وجداني لا أثر لإيعاز الغير فيه، ثم بعد أيام رجع عن قوله وأدلى للمحققين برواية جديدة وهي أن الشيخ الطيب العقبي هو الذي أوعز اليه بارتكاب الجريمة وأنه هو الذي أعطاه الموس الذي قتل بها، وأنه وعده بثلاثين ألف فرنك أجرة على القتل، وكان ذلك في نادي الترقي، فاستندت السلطات الفرنسية على هذا واعتقلت الشيخ الطيب العقبي في جو استفزازي حيث حاصرت قوات الشرطة والحرس المدني والجنود السنغاليين، وفتشت النادي وإدارة وجمعية العلماء وجريدة البصائر وحجزت الكثير من دفاترها وأوراقها.

يقول الابراهيمي معقبا على هذه الحادثة ومندهشا من ظروفها: وهذا محل اندهاش الرأي العام في القطر الجزائري وجمهور عظيم من العقلاء والمفكرين في غيره ممن يعرفون الأستاذ العقبي معرفة عيان او معرفة سماع، ويعرفون مكانته في العلم الدين والإصلاح، وممن يعرفون جمعية العلماء ومبادئها وأصول دعوتها، وأنها إذا عادت فإنما تعادي المبادئ

[1] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، مرجع سابق، ص 261.

للأشخاص، وإذا خاصمت فإنما تخاصم في العموميات لا في الشخصيات، وان الأصول التي بنت عليها دعوتها هي التعليم والتحبب والتسامح. [1]

إن هذه المكيدة المدبرة لا تستهدف الشيخ العقبي وانما تستهدف القضاء على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قال الابراهيمي: ...هم يريدون بما يمكرون شيئا واحدا، ويرمون بما يكيدون الى هدف واحد، وهو القضاء على جمعية العلماء بهذه المكائد التي يستفرغون فيها الوسع ويحكمون لها التدبير. [2]

ثم جاء يوم 10أكتوبر 1936، وهو اليوم الذي نشرت فيه جريدة "الوقت" المعادية لليسار الفرنسي، مقالا أبرزت فيه مخاوف فرنسا من اقدام حكومة الجبهة الشعبية على اصدار مراسيم للإصلاحات السياسية ووضع الجميع أمام الأمر الواقع، وأثار هذا المقال احتجاجات كبيرة في الجزائر وفي فرنسا ضد الجبهة الشعبية التي وجدت نفسها مضطرة الى اصدار بيان أنكرت فيه وجود أية نية لإصدار مراسيم خاصة بالإصلاحات السياسية، وأعلنت أنها ستتقدم بمشاريع سياسية تتعلق بإعطاء بعض الحقوق السياسية لأبناء الجزائر الأصليين الى البرلمان الفرنسي لكي يناقشها، وجاء هذا الإعلان بمثابة تمهيد وتحضير لحملة منسقة قام بها ممثلون الأوروبيين في البرلمان الفرنسيون رؤساء البلديات في الجزائر الذين قاموا بإضرابات كانت نتيجتها إصابة الإدارة الجزائرية بالشلل التام، ونتيجة لرفض النواب في فرنسا ان يناقشوا المشروع الذي تقدمت به الحكومة للبرلمان، وتهديد الأوروبيين في الجزائر بإحداث فوضى، تخلى رئيس الحكومة عن مشروعه الخاص بالجزائر، وحاول ايهام أعضاء المؤتمر الإسلامي بأنه سيطبق الإصلاحات بالجزائر عن طريق اصدار

[1] **مجلة البصائر**، السنة الأولى، عدد 32، 28 أوت 1936.
[2] **مجلة البصائر**، السنة الأولى، عدد 34، 11 سبتمبر 1936.

مراسيم تنفيذية، لكنه كان يدرك جيدا ان مجلس الدولة الفرنسي يستطيع ان يرفض المراسيم الحكومية التي لا تستند على قواعد قانونية معترف بها في التشريع الفرنسي .[1]

وفي يوم 11جويلية 1937م تم انعقاد الاجتماع الثاني للمؤتمر الإسلامي بالعاصمة وذلك بقصد المحافظة على وحدة الصف ومواجهة الضغوط الأوروبية على رئيس الحكومة الفرنسية لكي يتخلى عن مشروع الإصلاحات السياسية في الجزائر، وحاولت الجمعية ان تتعاون مع بن جلول وفرحات عباس، واتفق الجميع باستثناء مصالي الحاج على تقديم استقالات جماعية من طرف المنتخبين الجزائريين اذا لم تتم الموافقة على مشروع بلوم فيوليت، ولكن هذا التهديد لم يحقق أي نتيجة ملموسة، واستقال عبدالحميد من منصبه كرئيس للجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي بعد انتخابه في هذا المنصب في يوم 19 ديسمبر 1937م . [2]

ولقد كانت سنة 1938م مليئة بالأحداث السياسية والعراقيل الإدارية والأزمات في مسيرة الجمعية ،ففي شهر سبتمبر1938م رفض مجلس الشيوخ الفرنسي مشروع بلوم فيوليت واضطرت الحكومة لسحبه، ومنذ بداية سنة 1938م منعت السلطات الفرنسية الأناشيد الوطنية، وبعد محاكمة الشيخ الطيب العقبي في قضية اغتيال مفتي الجزائر العاصمة صدر مرسوم 13جانفي 1938يقضي بفرض رقابة شديدة على نوادي جمعية العلماء ومنعها من القيام بأي نشاط ثقافي او سياسي الا بعد الحصول على موافقة الإدارة الفرنسية، ثم جاء بعد ذلك مرسوم 8مارس 1938م يقضي بعدم السماح لأي معلم ان يفتح أي مدرسة في الجزائر الا بعد الحصول على الاذن من الإدارة الفرنسية، ثم تلاه مرسوم 27أوت 1939م الذي يقضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض الى قضايا الأمن العام، فأصيبت صحافة الجمعية بالشلل التام، وتم تجميد نشاطها السياسي عن طريق فرض هذه القيود.

[1] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962**، مرجع سابق، ص 262.
[2] نفس المرجع، ص 262 – 263،

لقد اعتبر الكثير من الباحثين ان بن باديس باعتباره رئيسا لجمعية العلماء تارة، وباسمه تارة أخرى يعد الشخصية الرئيسية في هذا المؤتمر، رغم أنه لم يضع نفسه في الصدارة فهو الذي دعا اليه منذ البداية، واقترح بعض الأسماء التي اقترحها لتتحمل بعض المهام والتكاليف فيه، ودعا الجماهير لتبني مطالب المؤتمر ونصرته، وأدلى بدلوه في جميع المناقشات والاقتراحات، ولقد ذكر بن باديس انه يسر بعملين في مسيرته هما جريدة <المنقذ>ومجلة <الشهاب>، وجمعية العلماء، وأضاف اليها العمل الثالث هو أعظمها وهو المؤتمر الإسلامي الجزائري لأنه يعتقد أن هذا المؤتمر هو: أعظم حدث وقع في الجزائر الإسلامية في تاريخها الحديث.[1]

ورغم جهود المنظمين للمؤتمر الإسلامي فان وحدته سرعان ما تضعضعت لأسباب خارجية وداخلية، رغم تمسك الجزائريين لمطالبهم، ولكن دون تحقيق أي مطلب منها، ويرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله ان فشل حركة المؤتمر الإسلامي كانت تعبيرا أيضا عن فشل سياسة فرنسا في الجزائر.

وان من أهم مواقف جمعية العلماء السياسية في هذه الفترة هي موقفها من قضية التجنيس وقضية الادماج، وسنقف عند كل قضية ليتبين لنا جهود العلماء المصلحين في الحفاض على المقومات الشخصية للمجتمع الجزائري.

3-1-1-التجنس: la naturalisation

لقد كانت أول النصوص القانونية التي منحت حق الحصول على الجنسية الفرنسية للجزائريين هو قانون ''السيناتوس كونسولت'' le sénatus-consulte الصادر في 14جويلية1865م، شرط تخلي الجزائريين عن أحوالهم الشخصية، ومنذ ذلك الوقت وحتى

[1] **مجلة الشهاب**، جويلية 1936، ص 236 – 237.

نهاية 1899كان 1131مواطنا جزائريا قد حصلوا على الجنسية الفرنسية، أغلبهم من الجنود الذين يرغبون في الترقي الى رتبة عسكرية أعلى مخصصة فقط للمواطنين الفرنسيين.[1]

وإزاء هذا الواقع الذي أصبح يهدد اسلام الجزائر وعروبتها، هاجم العلماء بقوة محاولة فرنسا تجنيس الجزائريين، وانطلقت جرائدهم ''كالشهاب''، والإصلاح''، ''المغرب''، تنذر المواطنين بالخطر الداهم، وجاء في مقال لأحمد توفيق المدني الشهاب: ''نحن بين الموت والحياة ''حذر فيه الشبيبة الجزائرية من سلوك السبيل التجنيس الذي يؤدي حتما الى التخلي عن الوطنية واللغة والتاريخ والشريعة الإسلامية.[2]

لقد نادت جمعية العلماء الشعب الجزائري بأن تجنيس معارض للإسلام، واعتبرته رد وكتب الشيخ العربي التبسي رئيس لجنة للإفتاء الجمعية الافتتاحية في البصائر. تحت عنوان : ''التجنيس كفر وارتداء'' ورد فيها:''...فهؤلاء المبتدعون للتجنس على علم بتلك الحقيقة الاجتماعية الدينية(من كثرة سواد قوم فهو منهم)،فيكون التجنيس غزوا للعقيدة الإسلامية، ومحاولة للتكفير المتجنس بطريقة تستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الأخرة، وانا اتحقق كما يتحقق كل عاقل أن هذه المكفرات لا يفعلها من تربى في أحضان الإسلام وأشرب قلبه حب ما جاء في كتاب الله، وإنما يرتكبها من أنشئ نشأة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه''، ثم قال :''...التجنيس أي سيرورة المسلم من الجنس غير المسلمين برفضه لأحكام الإسلامية الإلهية وإيثارها للأحكام وضعية بشرية حتى أنه يصير من يوم إمضائه العقد القاضي بارتياح من أسرة الإسلام الى أسرة غيره، لا حق له في الإسلام وتشريعه ولا في تحليل وتحريم ولا في آدابه وتاريخه، ولا بأحسابه ولا أنسابه لأنه تركها مختارا راغبا في سواها كره لها''.

[1] علي مراد، **الإصلاح الإسلامي في الجزائر**، مرجع سابق، ص 405.
[2] نفس المرجع، ص 406.

ولقد أصدرت جمعية العلماء فتوى على لسان رئيسها الشيخ عبدالحميد بن باديس بتكفير كل من يتجنس بالجنسية الفرنسية، وكان لها صدا كبير في أوساط الجزائريين وحتى في الدول المجاورة كتونس والمغرب ونص الفتوى كما يلي: ''...التجنس بالجنسية غير الإسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحد من أحكام الإسلام عدّ مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته، فإذا أراد المتجنس أن يتوب، فلابد لتوبته من إقلاع كما هو الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة، وإقلاعه لا يكون ال برجوعه للشريعة الإسلامية، ورفضه لغيرها ولما كان القانون الفرنسي جاريا عليه، رغم ما يقال هو من رجوعه، فإقلاعه لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله، وهو الذي تجري عليه الأحكام لحبسه، الا اذا فارق البلاد التي تأخذه فيها ذلك القانون الى بلاد تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية قد يكون صادقا في ندمه فيما بينه وبين الله، ولكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصدقه وهو ما يزال ملابسا لما ارتد من أجله من أحكام تلك الجنسية، ولهذا لا تقبل توبته ولا تجري عليه أحكام المسلمين''.[1]

ويقول الشيخ الطيب العقبي: ''التجنس بمعناه في شمال افريقيا حرام، والاقدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه...''.

وقال ابن باديس :'' ان التجنيس الذي هو في الحقيقة اختيار جنسية غير إسلامية للمسلمين، ينطوي على التنكر للشرائع المقدسة التي تنظم شؤون حياة المسلمين وتضع لهم قوانين دنيوية وبشرية، ثم انتهى القول :''ستكون الثمرة الأولى لدعايتنا، إنهاء الدمج الذي يسير عليه بطريقة معيبة بعض الموظفين الذين يؤثرون والإضرار بالعروبة والإسلام، إرضاء

[1] **مجلة البصائر**، السنة 3، عدد 95، 14 جانفي 1938، ص 2.

للسلطات الفرنسية، وستؤدي دعايتنا أيضا الى الانتهاء من ذلك ''الدمج الروحي'' المتمثل في بعض الأشخاص المناورين الذين يجهلون ما لعنصرهم من نبل وعراقة ...ويتزينون أزياء الغرب، بحيث يصعب التمييز بينهم وبين سادنهم المستعمرين''.[1]

3-1-3-الاندماج:l'assimilation

لقد نشأت فكرة الاندماج في وسط المتجنسين الذين أصبحوا يرغبون في رؤية جميع الجزائريين يتمتعون بالجنسية الفرنسية، ليتخلصوا من وضعهم الشاذ في المجتمع الجزائري حيث ينظر اليهم كأقلية ملعونة، وكان من أبرز دعاة الاندماج، الزناتي صاحب جريدة ''صوت الأهالي''la voix indigèneالذي جعل عنوان الافتتاحية العدد الأول من جريدته ''الجزائر ستصبح فرنسية''، وبعض الشخصيات الأخرى أمثال الدكتور بن تامي والفاسي وغيرهم ، وفي نفس الوقت كانت ''النخبة'' الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية ترغب في الاندماج بفرنسا مع الاحتفاظ بأحوالها الشخصية الإسلامية ومنهم :الدكتور بن جلول، وفرحات عباس، والكثير من النواب، وكانت رغبتهم في الادماج نابعة من اعتقادهم بأنه السبيل الوحيد للتخلص من النظام الاستعماري وقانون ''الاندجينا''.[2]

كما حاربت جمعية العلماء فكرة التجنس ورفضها، فقد حاولت قطع الطريق على جيل النخبة حتى تمنع الاندماج الكامل وذوبان المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، قال ابن باديس في رده على فرحات عباس عندما أنكر وجود كيان الجزائري :''...ثم ان هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن ان تكون فرنسا، ولا تريد ان تصير فرنسا، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا في لغتها وأخلاقها وهي عنصرها، وفي دنياها، لا تريد ان تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدودها الحالية المعروفة، والذي يشرف على ادارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل

[1] جوان غريسي، **الجزائر الثائرة**، تعريب: حماد خيري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1961، ص 62.
[2] علي مراد، **الإصلاح الإسلامي في الجزائر**، مرجع سابق، ص 410 – 411.

الدولة الفرنسية ، وهناك الموقف السياسي الأخر سجلته جمعية العلماء في نهاية المرحلة وهو رفضها في بداية الحرب العالمية الثانية تأييد فرنسا ضد الألمان وإيطاليا بل ذهب بن باديس الى أبعد من ذلك عندما فكر في الثورة ضد الفرنسيين، وخاطب أصدقاءه المقربين بانه سيعلن الثورة عندما تحين الفرصة، وهذا الموقف المعادي بصراحة للإدارة الفرنسية خلال نهاية هذه المرحلة كان دفاعا للفرنسيين لاعتقال رؤساء جمعية ونفيهم فقد حددت إقامة بن باديس بقسنطينة منذ بداية الحرب حتى وفاته المنية بها في 16أفريل 1940م ، ونفي نائبه البشير الابراهيمي مدينة أفلو الصحراوية في عمالة وهران لمدة ثلاث سنوات، واعتبر زعماء الجمعية ورجال الحركة الوطنية خطر على الأمن العام في الجزائر.

خلاصة:

عرف المجتمع الجزائري استقرارا نسبيا قبيل الاحتلال الفرنسي، وألف الجزائريون عيشا بسيطا شهدته مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتربوية، فوجئت هذه البساطة بعاصفة استعمارية يوم 05جويلية 1830م تجتاح بلاده، لاستنزاف خيراته واستعباده، مهددة لانتماء وبنيته الاجتماعية.

لم تكن محاولات الجيش الفرنسي لبسط نفوذه على الأراضي الجزائرية سهلة لشراسة المقاومة، وامتناع الجزائريين من مهادنة الاستعمار والخضوع له.

لقد قدم المستعمر الفرنسي الى الجزائر بمشروع استعماري متكامل يهدف الى تحطيم كيان المجتمع الجزائري، فمن الناحية السياسية أصدرت الإدارة الفرنسية قوانين وقرارات في فترات متلاحقة لاضطهاد الشعب الجزائري وتجويعه، وفرض الضرائب والغرامات عليه بغير وجه حق حتى تحطم حياته المادية، كما سعت الى سلخ من معتقداته وقيمه، وفرنسة لسانه وعاداته، حتى تحطم حياته الروحية وهذا ليسهل عليها ادماجه في المجتمع الفرنسي تدريجيا

لقد استطاع الاستعمار الفرنسي تخريب البنى الاجتماعية فقضى على النخب الجزائرية، وقام بتفتيت المجتمع الجزائري عندما استهدف القبيلة التي كانت تمثل الخلية الأساسية في هيكل المجتمع، ففقد الفرد الجزائري الإطار الاجتماعي الذي يحميه، وقام بتصفية ومصادر الأوقاف الإسلامية التي تعتبر أحد أهم مصادر النشاطات الاجتماعية والدينية والتربوية.

وأما على مستوى الديني فعملت على تنصير الجزائريين، ثم على تجنيسهم وادماجهم في المجتمع الفرنسي، ثم على إخضاعهم لقوانين الفرنسية في مجال الأحوال الشخصية، كما قامت بتهديم دور العبادة، وغلق بعضها أو تحويلها الى ثكنات واسطبلات او محلات تجارية وقامت استمالة رجال الطرق الصوفية الى صفها، وشجعت البدع والخرافات والاعتقادات الوثنية حتى تصد الجزائريين عن الإسلام الصحيح الذي يتعارض مع أهدافها الاستعمارية

وأطماعها ، كما عمل المستعمر الفرنسي على تحطيم البنية الأساسية لتعليم العربي الحر عن طريق سلسلة من القرارات والمراسيم التي تمنعه أو تضييق عليه، فبعد ان كانت نسبة المتعلمين في الجزائر غداة الاحتلال تفوق مثليها في فرنسا، لم تتعد 5%من المتعلمين سنة1914، مما ينبئ بوجود إرادة سياسية المتعمدة لتجهيل هذا الشعب رغم التظاهر وبذل الجهود ومساعي لنشر التعليم وتثقيف هذا الشعب وتطوير هذا المجتمع.

لقد كانت حصيلة السياسة الفرنسية على جميع الأصعدة والمجالات غير الإنسانية إذا حكمنا جميع المعايير الأخلاقية والقيم الإنسانية، ولكن رغم هذا ضرب الجزائريين مثالا نادرا في الصمود، والتمسك بالشخصية الغربية الإسلامية والحفاظ على الهوية الوطنية.

لقد أراد الاستعمار الفرنسي منذ اغتصاب الجزائر سنة 1830م القضاء على الشخصية الجزائرية أو الكيان الجزائري، حتى يسهل عليهم دمج الجزائر كليا في فرنسا، ولولا ان قيض الله للجزائر جمعية العلماء المسلمين لقدر لها ان تكون احدى المقاطعات الفرنسية التي تدين بالنصرانية، وتتكلم اللغة الفرنسية، لقد عملت جمعية العلماء على احياء الدين الإسلامي

الصحيح، والمحافظة على اللسان العربي الفصيح، وغرس المبادئ الوطنية، ورفض كل أشكال الاستعباد والاستغلال، وكان العلماء أول من جهر باسم الوطن الجزائري بل رفعوا شعار "الطن قبل كل شيء" يوم كانت كلمة الوطن والوطنية تعتبر اجراما ومساسا بالأمن العام، ولقد تجلت مبادئها الثلاث " الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا" في جميع الأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي كانت تقوم بها .

لقد آمن العلماء بحرية الجزائر وباستقلالها فعملوا على ذلك وجاهدوا من أجله وبذلوا الغالي والنفيس سالكين منهج التربية والتعليم، رغم ان البعض عاب عليهم ذلك لأنه طريق بطيء، ولكنه آمن ونتائجه مضمونة، فاستطاعت ان تخلق الوعاء الذي يحتضن الثورة عند اندلاعها فكان لهم ذلك، حين اتشر طلاب مدارس الجمعية المتشبعين بمبادئ الدين

الإسلامي الصحيح، والمفعمين بالقيم الوطنية والرافضين للاستعباد في جميع ربوع الوطن الجزائري، ولم يتأخروا في تلبية نداء ثورة نوفمبر من أجل استقلال الجزائر.

تمهيد:

بعد التعرض في الفصل الثاني للجانب النظري وتحديد إطاره والتطرق الى حياة ابن باديس ومنه نظرة الشيخ الى التربية والتعليم، ومنه كذلك الى الفكر الإصلاحي للمجتمع من نظر ابن باديس والوسائل الذي قام بها، وكذلك فكره من خلال نشاطه الجمعوي سنخصص هذا الفصل للجانب الميداني من خلال هذا الفصل الذي سنقوم فيه بالتطرق للأسس المنهجية للدراسة.

وهذا الفصل الذي سنعرض من خلاله مناهج وتقنيات البحث.

المناهج والتقنيات المعتمدة في الدراسة:

مناهج الدراسة:

إن طبيعة مشكلة الدراسة هي التي تحدد نوع المنهج الذي يتبع من بين المناهج المختلفة، فالمنهج يعني مجموعة من القواعد التي يتم وضعها قصد الوصول إلى الحقيقة في العلم، ويعرف المنهج على أنه: "الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة"[1].

وفي هذا السياق يشير موريس أنجرس "إلى أن تحديد مشكلة البحث سيؤدي إلى اختيار منهج كيفي أو كمي، كما سيؤدي بالباحث من أجل تناول موضوعه إلى استعمال التجريب، التحقق الميداني أو المنهج التاريخي. إن الباحث سيتوجه وفي مستوى ملموس أكثر نحو استعمال التقنية المباشرة أو غير المباشرة أثناء قيامه بجمع المعطيات من الميدان"[2].

المنهج الوصفي:

يعطى صورة عن وضع المجتمع في فترة زمنية معينة، يصف الواقع ويحلله [3] .

ويعرف بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة كميا عن طريق جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة وتصنيفها وتحليلها

[1] عمار بوحوش، محمد الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2001، ص99.

[2] موريس أنجرس، ترجمة: مصطفى ماضي وآخرون، منهجية **البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، الجزائر، دار القصبة للنشر، ط2، 2004، ص98.

[3] موريس أنجرس، ترجمة: مصطفى ماضي وآخرون، منهجية **البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، نفس المرجع، ص66.

وإخضاعها للدراسة الدقيقة[1]، فهو يهدف إذن إلى وصف الظواهر وصفا موضوعيا من خلال البيانات التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي، فهو يهتم بالتعرف على الظاهرة أو المشكلة وتحديد أسباب وجودها وتشخيصها والوصول إلى كيفية تغيرها[2].

وباعتبار أن المنهج الوصفي يهتم بفهم الحاضر من أجل توجيه المستقبل ويعتمد على توفير بيانات وحقائق واستنتاجات واقعية لظاهرة ما.

منهج تحليل المضمون :

يبحث هذا المنهج في اتجاهات الجمعات والأفراد بطريقة غير مباشرة من خلال كتاباتها وصحفها وآدابها وفنونها وأقوالها وملابسها وعماراتها والوثائق المرتبطة بموضوع البحث[3]، وتتجسد الغاية من تحليل المضمون، في البحث خلف السطور والخطاب المكتوب، حيث أن المعنى الواضح لأي نص من النصوص لا يأتي من القراءة الأولى والمباشرة له، وإنما من تنظيم جديد للمادة المقروءة بكيفية تسمح بالوصول إلى المعنى المقصود[4].

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة تحليل مضمون الفصل الأول والثاني من كتاب "مجالس التذكير من حديث البشير النذير" كونه يشتمل على عصارة الفكر التربوي الباديسي، وسيمكننا هذا المنهج من فهم موضوعي ودقيق لمحتوى فكر ابن باديس وأبعاده التربوية.

---

[1] سامي ملحم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص324.

[2] أحمد عبد اللحلح ومصطفى محمود أبو بكر، **البحث العلمي–تعريفه، خطواته، مناهجه**، الدار الجامعية، عمان، 2001.

[3] سامي ملحم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، مرجع سابق، ص329.

[4] عبد الكريم غريب، **منهج وتقنيات البحث العلمي –مقارنة ابستمولوجية–**، منشورات عالم التربية، البيضاء، المغرب، 1997، ص106.

لقد استعملنا هذا المنهج للتعرف على المجالات التربوية: النفسية والاجتماعية والدينية والصحية والأخلاقية التي اشتمل عليها المشروع التربوي الباديسي، وكما استعملناه في الاطلاع على مدى اهتمام ابن باديس بتربية وتعليم المرأة وهذا من خلال ما احتواه كتاب مجالس التذكير من كلام البشير النذير لعبد الحميد بن باديس من نصوص.

أدوات البحث:

في كل دراسة يلجأ الباحث لاختيار الوسائل والأدوات المناسبة لجمع البيانات وتحليلها بناء على طبيعة موضوع البحث ونوعية البيانات والأهداف التي يسعى إليها. ويحتل اختيار هذه الوسائل والتقنيات أهمية كبرى، لأن نسبة كبيرة من دقة المعلومات وصحة نتائج التحليل التي سيتم الحصول عليها مرتبطة بحسن انتقاء هذه الأدوات.

لقد تم في هذا البحث استعمال أداة جمع البيانات، وهي تحليل المحتوى، وسيتم التعريف بها فيما يلي:

- **تحليل المحتوى:** يهدف تحليل المحتوى إلى التصنيف الكمي لمضمون معين، وذلك في ضوء نظام فئات صمم من أجل أن يعطي بيانات مناسبة لفروض محددة خاصة بهذا المضمون. فهو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال[1].

لقد تم اختيار كتاب عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، قسنطينة، 1983، كعينة لتحليل محتواه بغرض التحقق من فرضيات البحث.

وفيما يلي تعريف مفصل بهذا الكتاب.

[1] رشيد أحمد طعيمة، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص69.

الكتاب عبارة عن حلقات في تفسير القرآن الكريم كان ينشرها ابن باديس في مجلة الشهاب، ثم جمعت بعده ونشرت واشتهر بتفسير ابن باديس، ورغم أن ابن باديس قد جلس في تفسير القرآن الكريم في المسجد الأخضر بقسنطينة حوالي ربع قرن، غير أن لم يصلنا من تفسيره سوى هذه الحلقات التي نشرها في مجلة الشهاب، ولعل السبب هو أن طلابه لم يدونوا كل شروحاته.

أ. **محتوى الكتاب وأقسامه:** ينقسم الكتاب إلى خمسة أقسام:

- **القسم الأول:** مجالس التذكير من حديث البشير النذير: يتضمن الأحاديث التي شرحها ابن باديس مجلة الشهاب...
- **القسم الثاني:** أحاديث في أغراض مختلفة: يتضمن موضوعات تدور حول أحاديث نبوية شريفة نشرت في الشهاب وغيرها...
- **القسم الثالث:** موضوعات متصلة بالسنة: جمعت من مختلف صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- **القسم الرابع:** موضوعات متصلة بصاحب السنة صلى الله عليه وعلى آله وسلم...
- **القسم الخامس:** الملحقات: تتضمن: درس ختم الموطأ، الاحتفال بختم الموطأ، المصلحون والسنة...

ويلاحظ من خلال الرجوع للكتاب أن منهج ابن باديس في التفسير يعتمد على التفسير بالقرآن وبالسنة الصحيحة وإلا فبأقوال التابعين وإلا فبلغة العرب التي نزل بها القرآن العظيم.

خلاصـــــة

لقد قمنا في هذا الفصل الى التطرق الى المناهج والتقنيات المعتمدة في الدراسة حيث اعتمدنا في دراسة المناهج الى، المنهج الوصفي ، منهج تحليل المضمون وأدوات البحث كتحليل المحتوى ، ومنه تم تحليل كتاب مجالس التذكير .

تمهيد:

بعدما تطرقنا في الفصل الثالث الى المناهج والتقنيات المعتمدة في الدراسة ، حيث اعتمدنا في دراسة المناهج الى منهج الوصفي، ومنهج تحليل المضمون، وأدوات البحث كتحليل المحتوى ، ومنه في هذا الفصل سنقوم بتحليل محتوى كتاب مجالس التذكير ، من خلال تحليل ومناقشة الفرضيتين وعرض النتائج الجزئية المتعلقة بالتحليل والتعليق على الفرضيتين.

تحليل ومناقشة الفرضية الأولى:

يملك ابن باديس مناهج وأساليب تستجيب لمتطلبات العصر الحديث.

أساليب التعليم	المؤشرات الصريحة		المؤشرات الضمنية		المجموع		الرتبة
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	
المناظرة	**11**	**35**	**05**	**28**	**16**	**33**	**1**
الحوار بالحجة العقلية	**10**	**32**	**04**	**22**	**14**	**28**	**2**
التلقين	**06**	**19**	**03**	**17**	**09**	**18**	**3**
التعلم الذاتي	**02**	**06**	**02**	**11**	**04**	**08**	**4**
التعلم بالقدوة	**02**	**06**	**02**	**11**	**04**	**08**	**4**
التعزيز	**00**	**00**	**02**	**11**	**02**	**04**	**5**
المجموع	**31**	**100**	**18**	**100**	**49**	**100**	

الجدول رقم: يبين أساليب التعليم حسب ما ورد في كتاب مجالس التذكير.

الأساليب جمع أسلوب، وهو الطريق، ويطلق على الفن من القول أو العمل، وفي التربية، تعني الطرق التي ينتهجها المربون مع متعلميهم، ومن خلال ما ورد في الجدول السابق يتبين لنا أن ابن باديس اعتمد أساليب ووسائل متنوعة لإنجاح جهوده التربوية، استوحاها من مصادر الإسلام الأصلية وهذه الأساليب هي:

- **المناظرة:** لقد اعتمدنا في تحليل المحتوى على كلمة: المناظرة، ويرى ابن باديس أن المناظرة في العلم والدين والمحاجة بالحق من الأصول الشرعية والكمالات الإنسانية لا يتعالى عنها كبير لكبره، ولا يحتقر فيها صغير لصغره، فالحق هو الحق على أي لسان ظهر، والحجة هي الحجة من أي ناحية قامت، وعلى هذا الأصل حاج

موسى آدم وهو أبوه، ومن حق المناظر أن يذكر كل ما يراه من الحجة الحقة لإثبات قوله ولو فيه ثقل على خصمه، وعلى هذا الأصل نسب موسى لآدم الإغواء والإخراج – وإن لم يكن من فعله–لأنه متسبب عنه.

ومن الواجب على من لاح له الحق في حجة خصمه أن يسكت ويسلم[1].

الحوار بالحجة العقلية: وهو أحد أساليب التعليم والتبليغ، وإذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء في دعوتهم لقوامهم –رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين، والأدلة العقلية الجلية. والحوار يقوم على أساس الفهم وإحكام النظر فيما نسمع ونقول، وفي هذا الصدد فإن ابن باديس كان يحرص على الكيف أكثر من حرصه على الكم، لذا فقد كان يركز بشكل كبير على الفهم وإعمال الذهن وتشغيل قوى المخيلة، أكثر من شحن الذاكرة، يقول ابن باديس: فعلى الناشرين لهدايته، والمبلغين لدعوته أن يجعلوا القرآن إمامهم وحجتهم ومرجعهم، فإنه هو كتاب دعوة، ومنشور الهداية ومظهر الحجة[2].

وقد اعتمدنا لتحليل محتوى الكتاب الكلمات: تبليغ، التبليغ، حجة.

- **التلقين:** المقصود بالتلقين هنا هو الحديث الذي يقوم به المعلم لنقل المعلومات والمعارف اعتمادا على الإلقاء من جانب المعلم، ويقع العبء الأكبر على كاهله في عملية التدريس، يتم بتقديم المعلومات من طرف المعلم أما دور المتعلم فهو الاستماع والترديد والحفظ والاستظهار. وعلى الرغم من أن نتائج البحوث والدراسات أثبتت عدم جدوى هذه الطريقة اليوم إلا أنها كانت شائعة جدا في السابق.

فالتلقين إذن من بين طرق التعليم القديمة التي كانت ولا زالت تستعمل رغم ارتباطها بالطرق الكلاسيكية في مجال التعليم، وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص33–36.

يجلس في المسجد النبوي لأصحابه ويجلسون إليه حلقة فيعلمهم القرآن والحكمة ويعظهم ويرشدهم[1].

لقد أجاب ابن باديس النساء ووعدهن يوما يعينه لهن بوعده فلقيهن في ذلك اليوم وحدهن فوعظهن وأمرهن بأشياء مما عليهن من أمر الدين[2].

- **أما الكلمات التي اعتمدت في التحليل:** حلقة، يجلسون إليه، يرشدهن، وعظهن، أمرهن.
- **التعلم الذاتي:** هو النشاط التعلمي الذي يقوم به المتعلم مدفوعا برغبته الذاتية بهدف تنمية استعداداته وإمكاناته وقدراته مستجيبا لميوله واهتماماته بما يحقق تنمية شخصيته وتكاملها، والتفاعل الناجح مع مجتمعه عن طريق الاعتماد على نفسه والثقة بقدراته في عملية التعليم والتعلم وفيه نعلم المتعلم كيف يتعلم ومن أن يحصل على مصادر التعلم. وهو من الطرق الحديثة التي تعتمد على جعل المتعلم ينتج المعرفة ويتعود على تعلم كيف يتعلم والاتجاه الحديث اليوم فيما يسمي بالمقاربة بالكفاءات يقوم على هذا الأساس لأن الغرض منه هو إكساب التلميذ كفاءة التوصل إلى المعلومة أو إنتاج المعرفة، يقول ابن باديس: ومن عرف أصل الخير سهل عليه إذا تمسك به أن يحصل على فروعه[3].
- فالتعليم وإعطاء المعارف مباشرة ليس هو مهمة المعلم، وإنما مهمته هو خلق الجو المناسب لتعلم التلاميذ من تلقاء أنفسهم أو من بعضهم البعض على حسب مقولة ابن خلدون (الطفل للطفل ألقن)، أي أن أحسن من يعلم الطفل هو طفل مثله، وعلى هذا الأساس يشير ابد باديس لهذا المعنى من خلال قوله: يتعلمون أما من عرف الحق وتيقن من نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة[4].

---

[1] نفس المرجع، ص68.

[2] نفس المرجع، ص157.

[3] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص117.

[4] المرجع نفسه، ص93.

إن التعلم الذاتي كان وما يزال يلقى اهتماما كبيرا من علماء النفس والتربية، باعتباره أسلوب التعلم الأفضل، لأنه يحقق لكل متعلم تعلما يتناسب مع قدراته وسرعته الذاتية في التعلم ويعتمد على دافعيته للتعلم ففيه:

- يأخذ المتعلم دورا إيجابيا ونشيطا في التعلم.
- يمكن التعلم الذاتي المتعلم من إتقان المهارات الأساسية اللازمة لمواصلة تعليم نفسه بنفسه ويستمر معه مدى الحياة.
- إعداد الأبناء للمستقبل وتعويدهم تحمل مسؤولية تعلمهم بأنفسهم.
- تدريب التلاميذ على حل المشكلات، وإيجاد بيئة خصبة للإبداع.
- اكتساب مهارات وعادات التعلم المستمر لمواصلة تعلمه الذاتي بنفسه.
- المساهمة في عملية التجديد الذاتي للمجتمع.
- تحقيق التربية المستمرة مدى الحياة.

القدوة: القدوة هي الأسوة، أو النموذج العلمي الذي يراه المتعلم في المربى أو المعلم، ليوقن ويتحقق بأن ما يطلب منه من السلوك والأخلاق هو أمر واقعي يمكن ممارسته، فهو يأخذ بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذ بالنصح والإرشاد، وعليه فإن إنجاح العملية التربوية يتوقف إلى حد كبير على وجود المعلم القدوة، الذي يحقق بسلوكه وممارساته التربوية، المثال الصادق لأهداف المنهج التربوي، المراد إقامته وتحقيقه.

لقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهدي من سبقه من الرسل فقال: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ) سورة الأنعام، الآية90. وأمر الله المؤمنين بأن يقتدوا برسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب، الآية21.

وخاطب الله عز وجل رسوله والمؤمنين جميعا بقوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ....) سورة الممتحنة، الآية04.

وهكذا فقد ارتبطت التعليم في الإسلام من البداية بالقدوة الحسنة، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هو يطلب منهم محاكاته والأخذ عنه قائلا: (صلوا كما رأيتموني أصلي) ... (خذوا عني مناسككم).

وفي هذا الصدد يقول ابن باديس متحدثا عن الإمام مالك ابن باديس: "فلنا في مالك وغيره من أئمة الهدى القدوة الحسنة في التمسك بهما. فنحتاط لعبادتنا، حتى لا نخلط بين فرضها ونفلها..."[1]، وقوله كذلك: "فقد علمن النبيان الكريمان كيف يعتمد على الحجة في البداية وكيف يخضع لها في النهاية والقدوة هما صلى الله وسلم عليهما"[2].

والمعلم حسب ابن باديس ينبغي أن يكون هو نفسه عاملا بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلى العمل به قد شروعه في التعليم، وقد كان هو بحد ذاته قدوة للمعلمين.

- **التعزيز الإيجابي والسلبي:** يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن مفهوم التعزيز الإيجابي مفهوم عملي يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان، ويشير رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام إلى أهمية هذا المبدأ في أحد أهم مسائل تربية الأولاد ألا وهي تعليم الصلاة، فيقول صلى الله عليه وسلم: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لشعر سنين)، ويلاحظ في هذا الحديث كيف ترك الرسول صلى الله عليه وسلم فترة ثلاثة سنوات لاستخدام كافة وسائل التعزيز الايجابي المتاحة لترغيب الأبناء على تعلم الصلاة، قبل اللجوء إلى العقاب بالضرب وهو أحد وسائل التعزيز السلبي. إن مبدأ التعزيز الإيجابي يعتمد أساسا على صناعة الرغبة الداخلية للسير نحو الهدف بأقصى

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص77.

سرعة، ومع أن كلمة التعزيز لم ترد صراحة في الفصول التي قمنا بتحليلها لكنها وردت ضمنيا في موقعين في الكتاب مجالس التذكير وهما:

الموقع الأول: إن تكرر العمل بمقتضى خلق الأخلاق يقويه ويثبته وأن العمل على مقتضى ضده يضعفه ويزيله، وهذا أصل عظيم أيضا في التربية يعلمنا أن التساهل في الأعمال السيئة ولو كانت في نظرنا طفيفة يفضي بنا إلى استعصاء داء الرذيلة، وأن القيام بالأعمال الحسنة ولو كانت طفيفة يبلغ بنا رسوخ الفضيلة[1].

الموقع الثاني: الأخلاق الفاضلة التي هي موجودة في فطرة الإنسان بأصولها وتنمو بحسن التربية، وتنطمس بالإهمال، قد حفظها الله تعالى علينا بما وفقنا إليه من الإسلام، وما علمنا من آداب، وما شرعه لنا من أعمال، ومما ينمي تلك الأخلاق ويقويها المداومة على الأعمال التي تنش عنها[2].

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص117–118.

[2] نفس المرجع، ص131.

تحليل ومناقشة الفرضية الثانية:

شمل الفكر الإسلامي لتربية عند ابن باديس كل جوانب التربية.

اهتم بعدة مجالات منها:

- المجالات التربوية والدينية والنفسية والخلقية والاجتماعية والصحية، التي وردت في كتاب مجالس التذكير من كتاب البشير النذير معتمدين على تحليل محتوى هذا الكتاب وقد كانت النتيجة كالتالي:

المجال التربوي	المؤشرات الصريحة		المؤشرات الضمنية		المجموع		الرتبة
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	
التربية الدينية	***36***	***23***	***14***	***26***	***50***	***24***	***1***
التربية الخلقية	***21***	***13***	***20***	***37***	***41***	***19***	***2***
التربية الاجتماعية	***35***	***22***	***06***	***11***	***41***	***19***	***3***
التربية البيئية	***23***	***13***	***05***	***10***	***28***	***13***	***4***
التربية النفسية	***18***	***11***	***01***	***02***	***19***	***09***	***5***
التربية السياسية	***12***	***07***	***03***	***06***	***15***	***07***	***6***
التربية الصحية	***09***	***06***	***02***	***04***	***11***	***05***	***7***
التربية الغذائية	***06***	***04***	***02***	***04***	***08***	***04***	***8***
المجموع	***160***	***100***	***53***	***100***	***213***	***100***	

الجدول رقم: يبين ترتيب المجالات التربوية التي اهتم بها ابن باديس في كتابه مجالس التذكير.

بالرغم من أن المشروع التربوي لابن باديس وحدة متكاملة، في مبادئه، ووسائله، وأهدافه، لكن هذه الصورة المتكاملة تخفي وراءها تفرعا وتخصصا جعلت من هذا المشروع الأساسي مشاريع فرعية يتكفل كل واحد منها بمحور ما، في جانب معين من حياة المجتمع، مع بقائه

وفيا لنفس المبادئ ونفس الأهداف، ويستخدم نفس الوسائل. وفيما يلي ترتيب الأهداف التربية كما ورد في كتاب مجالس التذكير:

- **التربية الدينية:** ترتيب الدينية في المرتبة الأولى ليس غريبا في الفكر الباديسي الذي يرى أن الاعتقاد والإيمان بالمبدأ، يكون قبل العمل به: "لأن العقيدة في رأي ابن باديس هي اللبنة الأساسية في بناء الإسلام والأساس الذي تقوم عليه حياة المسلمين، وهي التي تكون المنطلق الفكري لعقلية المسلم والأساس النفسي لسلوكه، فمنها تنبثق نظرته إلى الحياة، وعلى أساس فلسفتها يبنى نظامه فيها"[1].

برزت التربية الدينية بالخصوص في الكتاب في عدة مواقع منها:

الأول: برزت تحت عنوان (أثر النيات في الأعمال) خلال شرحه لحديث إنما الأعمال بالنيات... فابن باديس يركز على أن العلم والعمل الديني لا يكون مقبولا حتى تقصد به طاعة الله وأن من قصد به غير ذلك فعمله مردود عليه[2].

الثاني: جاء تحت عنوان كلمات الشرك (النهي أن يقال ما شاء الله وشئت) خلال شرح ابن باديس لحديث النبي صلى الله وسلم لحديث هشام بن عمار "أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقى رجلا من أهل الكتاب فقال: نعم القوم أنتم لو لا أنكم تشكرون تقولون ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما والله إن كنت لأعرفها لكم قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد"[3].

الثالث: جاء تحت عنوان (الترغيب في الذكر) أثناء شرح ابن باديس لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أنس "عن الله يذكر من ذكره ويشكر من شكره ويعذب من كفره"[4].

---

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص137.

[2] نفس المرجع، ص60-66.

[3] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص109.

[4] نفس المرجع، ص200.

- **الكلمات التي تم اعتمادها: الشرك، النية، القصد، الذكر.**

لقد اعتنى ابن باديس في مشروعه التربوي بالتربية الدينية وخاصة العقائدية عناية بالغة، لعلمه بأهميتها في حياة الإنسان، وقد عمل على تلقين العقيدة الإسلامية على طريقة السلف الصالح لأنه كان لا يميل إلى طرق الفلاسفة والمتكلمة لما فيها من تعقيد يمكن أن ينحرف بالمربى، وقد كان له مقرر خاص بتدريس العقيدة الإسلامية، أسماه (العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية) طرقيته في عرضها تقتصر على الالتزام بما ورد في الآية أو الحديث دون الزيادة على معناهما.

فمثلا فيما يخص الإيمان بالله يرى ابن باديس أن (الله الذي لا معبود غيره، ولا يستحق العبادة سواء، خالق المخلوقات كلها، والمالك لها، والمدبر لأمرها، والمتصرف فيها من أصغر مخلوق إلى أعظم مخلوق)، أي أن الإيمان بالله لدى ابن باديس، واجب مطلق لا تصلح بدونه عقيدة ولا شريعة، وحين يتطرق لصفات الله فإنه يلتزم الأسلوب السلفي أي شرح الصفة بنص القرآن والسنة، فيذكر لله صفة الحياة، وصفة القدرة، وصفة الإرادة، وصف العلم وصفتي السمع والبصر وصفة الكلام وصفة الوحدانية.

أما فيما يخص الذكر فلا يقصد به الذكر اللساني، بل المراد الطاعة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وصدقة ونصيحة وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل وغير ذلك، والمطيع إنما أطاع الله لكونه ذكره بقلبه أو بلسانه. فالذكر حسب ابن باديس يتنافى مع المعصية والغرور وتعدي حدود الله.

إن التزام ابن باديس بأصول العقيدة الإسلامية، التزام كلي، لم ينكر شيئا، ولم يضف شيئا، بل كان مختصرا وشاملا، موفيا بحق العقيدة مدركا لقدرة المربي، عليه من الأساليب الملتوية، والإطناب في المفاهيم والمصطلحات.

أما عن الهدف الذي كان ابن باديس يرجوه من وراء التربية العقائدية الذي قدمها في شكل دروس بالمساجد والمعاهد التي كان يدرس بها، باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء

الإسلام والأساس الذي تقوم عليه حياة المسلمين، وهي التي تكون المنطلق الفكري لعقلية المسلم والأساس النفسي لسلوكه.

ولقد أدرك ابن باديس أن الجزائري بالرغم من مولده في مجتمع إسلامي إلا أن عقيدته قد داخلها الكثير من الخلل فقد تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، فأصبحت جذبة فردية، وأصبح اعتقاده لا يثير أي توجه صحيح نحو إدراك واقعه ومشاكله وطرق التخلص من ذلك، لهذا عمد إلى تصحيح عقائد الناس وبث الفاعلية فيها، لتستعيد دورها في تحريك الإنسان، ودفعه نحو إنقاذ نفسه من بؤرة الفساد والجمود.

بالإضافة لحالة المنبوذة التي كان يعيشها الإنسان الجزائري آنذاك، والتي تجسدت في الخوف والركون إلى الأمر الواقع دون محاولة التخلص منه، ولمساعدته على الخروج من هذه الحالة كان لابد من تجديد ثقته التي أساسها الإيمان بالله والثقة فيه، والاعتقاد بأنه هو المحيي والمميت وأنه هو الرزاق وهذا يبعث على الإقدام والشجاعة والطمأنينة، ويرفع من قوى الإنسان المعنوية، وكل ذلك يخلصه من خوفه، كما أن للعقيدة دورا في إعادة ربط شبكة العلاقات الاجتماعية لأنها في الإسلام أقدس رابطة بين الأفراد فكلما كانت صحيحة وفعالة كلما كان المجتمع متماسكا وفعالا.

التربية الخلقية: اهتم ابن باديس بالجانب الأخلاقي الذي أولاه الإسلام درجة كبيرة من الاهتمام، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حصر رسالته في إتمام كارم الأخلاق (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وقد برزت التربية الخلقية بالخصوص في موقعين:

الأول: ورد تحت عنوان (الصدق والكذب أين يهدي كل واحد منهما) حيث قام ابن باديس بشرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم

والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا[1].

الثاني: ورد تحت عنوان (التستر بالنقائص) حيث شرح ابن باديس حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " كُلُّ أَمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ"[2].

اعتمدنا في تحليلنا لمحتوى كتاب مجالس التذكير على كلمات: الصدق، الكذب، الحياء...الخجل، التستر، الاحترام، المجاهرة.

وفي هذا الإطار يقول ابن باديس "...الأخلاق الفاضلة موجودة في فطرة الإنسان بأصولها وتنمو بحسب التربية وتتطمس بالإهمال، وقد حفظها الله علينا بما وفقنا إليه من الإسلام وما علمناه من آداب وما شرعه لنا من الأعمال، مما ينمي تلك الأخلاق ويقويها المداومة على الأعمال التي تنشأ عنها، ومن أعظم تلك الأخلاق وأدخلها في باب النهوض بجلائل الأعمال، وحفظ سعادة الاجتماع خلق البذل"[3].

فالأخلاق ضرورية للإنسان فردا كان أو مجتمعا ولا يمكن له أن يحافظ على استمرارية كيانه دون الالتزام بصفات أخلاقية معينة، لأن الأخلاق هي المعيار الذي يهتدي به الإنسان في حياته، وأن فقدها اختل توازنه وحرص ابن باديس كمربي على تطبيق المنهج القرآني الذي من صفاته الدعوة للالتزام الأخلاقي، فعمل على غرس الصفات الأخلاقية الفاضلة في نفس الإنسان ليبني بها ضميره دون أن يحاول فرضها من الخارج كضغط ديني أو اجتماعي، وقد أعمل هذه القاعدة عندما بدأ في تطبيق مشروعه التربوي الإصلاحي في

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص115.

[2] أخرجه البخاري 24/8(6069) و"مسلم" 224/8

[3] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص131.

الواقع، حيث عمل على بناء السلوك الخلق في الإنسان على أساس فطرته المهيأة لذلك ويستغل كل مناسبة ليبين للناس صفة أخلاقية معينة، أو يحثهم على التزام صفة أخرى، مثل ما كان منه في شرح التضحية بمناسبة عيد الأضحى، أو ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في ذكرى مولده.

أما غاية ابن باديس من وراء جهده التربوي الأخلاقي فكانت رغبة في تخليص أبناء المجتمع الجزائري من كثير من الصفات الفاسدة كالكسل والخمول والتراخي والكذب والنفاق وغيرها، تلك الصفات التي ما انتشرت في أمة إلا هدمت صرح حضارتها، وهو الأمر الذي ينطبق على الأمة الإسلامية، بعد أن كانت رائدة حضارة، أصبحت تئن في درك الاستعمار، كما حاول ابن باديس بذر الأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة، بغرض دفع المجتمع إلى إعادة بناء ذاته بناء صحيحا، على أساس أخلاقه الذاتية التابعة من مصدر قوته المتمثلة في الإسلام، وسد الثغرات الأخلاقية الموجودة في جسم المجتمع للحيلولة دون تمكينها من تعميق الانحراف الأخلاقي الذي كان يريده الاستعمار لتفسيخ المجتمع وسهولة السيطرة عليه.

التربية الاجتماعية: جاءت التربية الاجتماعية في المرتبة الثانية مع التربية الأخلاقية وبعد التربية الدينية وقد برزت بالخصوص في موقعين:

الأول: تحت عنوان (اتحاد المؤمنين وتعاونهم) خلال شرح ابن باديس لحديث (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضً، وَشَبَّكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَصَابِعِهِ)[1].

الثاني: جاءت تحت عنوان (تفاوت للصدقات بنسبتها لأموال المتصدقين) خلال شرح ابن باديس لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالُوا وَكَيْفَ قَالَ

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص99.

كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا)[1].

الكلمات تم اعتمادها: اتحاد، بنيان، تعاون، تضام...الإيثار، البذل، التعاون، التضحية.

لم يهمل ابن باديس الذي اختار المنهج الإسلامي لمشروعه التربوي الجانب الاجتماعي الحساس من العمل الإصلاحي، فهن خلال المرتبة المهمة التي أعطاه له يتبين أنه يؤمن إيمانا قويا بدور الجانب الاجتماعي إذ كان كثيرا ما يذكر أن ما يحقق نهضة المسلمين إيمانهم بالله، وتكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ودفع المضرة، ولما كان ابن باديس كثير الاحتكاك بالواقع فإنه أدرك سوء الجانب الاجتماعي، وتدهور حالته لأسباب مختلفة منها ما يمت لعيوب في المجتمع الجزائري ومنها ما أدخله الاستعمار، لذا عندما عمد ابن باديس إلى تنفيذ مشروعه التربوي، حاول من ناحية تجديد شبكة العلاقات الاجتماعية، وهذا استدعى عملا على مستوى الفرد وآخر على مستوى المجتمع، إذ نجده عمل على غرس القيم الإسلامية الاجتماعية لدى المربي من خلال دعوته وحثه على التفكير في مجتمعه، ومساعدته على حل مشاكله، ويقول في هذا الصدد: لنجعل المصلحة العامة غايتنا، والمقدمة عندنا، حتى لا يكون إن شاء الله من مصالحنا الخاصة ما يصرفنا أو يشغلنا عنها.

لقد ظل ابن باديس طوال حياته يعمل لكي يمكن الفرد الجزائري من استعادة دوره الاجتماعي الفعال ويخرجه من وضعه السلبي ومن حالة الانقسام الذي كان يعيشه آنذاك المجتمع، هذا الانقسام الذي كرسته الطريقة بواسطة نظرتها ومقولاتها المتمحورة حول ربط كل شيء بالقضاء والقدر، وتشجيع التقوقع حول المصلحة الذاتية، وهي ما كرس ابن باديس جهده التربوي لاجتثاثها فغرس بدل المصلحة الذاتية المصلحة العامة، واستبدل الانفرادية

[1] نفس المرجع، ص129.

بالأخوة والتكافل الاجتماعي، وتجسدت نتيجة هذا الجهد في إعادة نشاط شبكة العلاقات الاجتماعية، من خلال التفاعل الذي ظهر بين الشعب الجزائري وبين المشروع الإصلاحي.

يقول ابن باديس "علينا أنعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب، أكيد، محتم علينا من جميع المؤمنين، وأن فيه قوتنا وحياتنا، وفي تركه ضعفا وموتنا، وأن نعلن ذلك بألسنتنا في كل مناسبة من أحاديثنا، وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كل ما يقتضيه وصف الإيمان الجامع العام"[1].

ويقول أيضا: "من أعظم الأخلاق وأدخلها في باب النهوض بجلائل العمال، وحفظ سعادة الاجتماع خلق البذل، فجاء هذا الحديث الشريف وغيره يبين لنا عظيم أجر صدقة المقل، ليحثه على مشاركة الغني في العطاء بما استطاع، فيكون البذل من الجميع عاما، والسخاء بينهم مشتركا، وآثاره عليهم ظاهرة، فينمو خلقه بذلك في الأمة كلها، وترسخ أصوله في نفوسها، فتصبح وهي أمة سخية بما عندها في سبيل ما ينفعها، متعاونة بالبذل في مهماتها، مشتركة بجميع طبقاتها في كل مشروع خيري من مشاريعها، وإذا تربت الأمة على هذه الصفة، وتدرجت إلى الكمال فيها، فذلك عنوان نجاحها وفوزها وبلوغها غاية آمالها وسعادتها في الدارين"[2].

التربية البيئية: جاءت التربية في المرتبة الرابعة وهذا ما يدل أن ابن باديس سبق المجتمعات الغربية بسنوات في اهتمام الكبير بالبيئة.

قد جاء تحت عنوان (نظافة الطرق والجالس أو مصلحة من مصالح البلدية) عند شرحه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (اِتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا :وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُول اللَّه؟ قَالَ :الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيق النَّاس أَوْ فِي ظِلّهمْ)[3].

---

[1] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص102.

[2] نفس المرجع، ص131.

[3] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص146.

تم اعتماد كلما: الأذى، يتخلى، الخلاء، قضاء، الحاجة، البول، الغائط، القذر، التنظيف.

يحدد ابن باديس مجال التربية البيئة بالخصوص في اجتناب التخلي وقضاء الحاجة في الطرقات وأماكن جلوس الناس كالأسواق والمنتزهات، ولم يكتفي بذلك، بل إنه ألحق بالتخلي وضع القذر والوسخ والزبل والشوك وكل ما فيه مضرة وأذية للناس.

ويعتبر أن فعل هذا يعتبر تعد وظلم، فشأن الناس عندما يجدون القذر في طرقاتهم وأماكن جلوسهم أن يلعنوا من آذاهم وبذلك فهم مظلمون، ودعوة المظلوم مستجابة[1].

ويعتقد ابن باديس أن المسلمين قد سبقوا الغرب في مجال التربية البيئية وفي هذا الصدد يقول: "من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها مصلحة التنظيف في الإدارات والبلدية وأنت ترى أن الأحاديث النبوية المتقدمة قد انتظمت ذلك التنظيف بالترهيب من التقدير وكل مؤذ، والترغيب في غزالتهما. فوضع الإسلام بذلك أصل هذه المصلحة قبل أن يعرفها التمدن اليوم"[2].

التربية النفسية: لقد جاءت التربية النفسية في المرتبة الخامسة وبرزت في الكتاب بالخصوص تحت عنوان (من رغب عن سنتي فليس مني) خلال شرح ابن باديس لحديث (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)[3].

وقد تم اعتماد الكلمات: التثبيط، القنوط، الاحتقار.

وفي هذا الإطار يقول: هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفسية البشرية فإن النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة

[1] نفس المرجع، ص147.

[2] نفس المرجع، ص148.

[3] عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشري النذير**، مرجع سابق، ص78.

لنيل المطلوب، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل وترجع إلى أحط دركات السقوط...[1].

وكان ابن باديس في عمله التربوي مدرك لما تمثله الحياة النفسية للإنسان، بالنسبة للأفراد والمجتمع، وبالرغم من أنه لم يقم بدراسة علم النفس، لكنه تتبع الواقع النفسي المتردي الذي كان يعيشه الإنسان الجزائري آنذاك نتيجة الظروف والضغط الاستعماري، والعادات السيئة التي كانت تغذيها الطرقية، هذا الوضع أكسب الجزائري عدم الثقة بنفسه في مواجهة واقعه، مع العلم أن الثقة بالنفس والتوازن النفسي ضروريان لنجاح أي مشروع.

لقد عمد ابن باديس كمرب إسلامي لمعالجة هذا الخلل وعمل على دفع حالة الإيمان عند الناس وربطهم بخالقهم ليزيل من قلوبهم خوف غيرهم من المخلوقات وكان يقول أن المسلم المتحقق بالإسلام، المهتدى بهدايته لا يكون إلا عزيزا رحيما، فالذلة من المسلم نقص في إسلامه، كل عمل على تحبيب الحق للناس لأنه هو عصمة الإنسان من الزلل، والاعتصام به يكسب الإنسان إحساسا بالاطمئنان إلى عمله، وكذا مواظبته على دعوة الإنسان إلى الصبر، لعمله أنه المرحلة الضرورية لنضج الإنسان على طريق المحن والتمحيص، ولكون مرحلة الصبر ضرورية لخوض أي مشروع تغيير مهما كانت أهدافه.

لهذا كان المشروع التربوي لابن باديس، ثورة على الوضع النفسي الانهزامي الذي ورثه الإنسان الجزائري عبر قرون التخلف والانحدار.

[1] نفس المرجع، ص82.

خلاصة:

لقد قمنا بتحليل محتوى كتاب مجالس التذكير وخلصنا إلى نتائج، وهي فعلا أن ابد باديس يملك مشروع تربوي متكامل يستجيب لمتطلبات النهضة، وأن مشروعه مرتبط بخصوصية المجتمع الجزائري، وشمل جميع جوانب التربية، ولقد اعتمدت جمعية العلماء المسلمين المناهج وأساليب تعليمية بعضها مألوفا وبعضها حديثا.

الاستنتاج العام:

لقد هدفت هذه الدراسة للكشف عن بعض أبعاد الفكر التربوي عند المصلح الإمام ابن باديس، وبعد الدراسة النظرية والرجوع إلى ما كتبه وقمنا بتحليل محتوى كتاب مجالس التذكير من كلام البشير النذير لابن باديس متحرين الموضوعية والتحقق صدقها، وسنقوم بعرض النتائج النهائية المتعلقة بالفرضيات والتي كانت كالتالي:

يملك العلامة ابن باديس مناهج وأساليب تستجيب لمتطلبات العصر الحديث.

فقد يتبين لنا من خلال أجوبة العلماء أن ابن باديس اعتمد على مناهج وأساليب تعليمية حديثة عصره، وأنتقد بعض طرق التعليم كالحفظ بدون فهم واجترار المتون التي كانت منتشرة في عصره واعتمد طرقا تعليمية تعتمد على الفهم والحوار المنطق والاستفهام والاستنطاق والتشويق وتعزيز حتى لا يشعر المتعلم بثقل القواعد، وجفاف الحقائق العلمية.

فاعتمد ابن باديس طرق تعليم متعددة منها:

1. المناظرة.
2. الحوار بالحجة العقلية.
3. التلقين.
4. التعلم الذاتي.
5. التعلم بالقدوة.
6. التعزيز.

من خلال ملاحظة هذه الأساليب يتضح لنا أن ابن باديس قد اعتمد على بعض الأساليب التي كانت مستعملة في وقته، كما أنه اعتمد طرقا جديدة بالنسبة لعصره. يقول عبد القادر فضيل "إن طريقة ابن باديس في التدريس تجمع بين القديم والحديث فهو ينطلق مع الطلاب من المتن الذي يطلب منهم.

يملك الفكر التربوي عند ابن باديس كل جوانب التربية.

نلاحظ أن ابن باديس كان متفطنا لدور المعلمين والعلماء، حيث أن دور المعلم عنده لا يقتصر في تلقين المعارف، بل المعلم هو المربى بالدرجة الأولى. ونجد أن أغلب رجال التربية والتعليم قد أكدوا صحة هذه الفكرة من أمثال: فروبل، ومنتسوري، وبياجي ، وغيرهم.

نلاحظ مما سبق أن المشروع التربوي لجمعية العلماء المسلمين ورائدها ابن باديس قد راعى أهمية كبرى للثنائية التعليم/المعلم.

أما بالنسبة لتعدد المجالات التي اهتم بها المشروع التربوي الباديسي فمن خلال الرجوع الى تحليل محتوى كتاب مجالس التذكير يتبين لنا ابن باديس لم يكن يهتم بعدة مجالات فقط، بل اهتم بتنظيمها حسب أهميتها وفق أولوية محكمة تنطلق من فلسفته ونظرته المنبثقة من روح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لذلك فقد جاءت هذه المجالات مرتبة كالتالي:

1. التربية الدينية.
2. التربية الخلقية.
3. التربية الاجتماعية.
4. التربية البيئية.
5. التربية النفسية.
6. التربية السياسية.
7. التربية الصحية.
8. التربية الغذائية.

وبالإضافة إلى نظرته المتكاملة فإن ابن باديس يربط بين المعرفة والعمل وبين النظر والتطبيق سواء في أمور الدين أو أمور الدنيا، فالإيمان الذي كان يسعى لغرسه في النفوس هو الإيمان الإيجابي الذي يحارب السلبية والجمود ويناهض جميع أشكال الاضطهاد والعبودية، ويدفع المنتمين إليه إلى الثورة على ما في نفوسهم من ضعف وتردد، وعلى الأوضاع الفاسدة التي تفوق مجتمعه عن النهوض.

وبما أن منطلق ابن باديس هو البعد الديني الإسلامي الذي يدعو إلى الكمال والتكامل فقد ظهر ذلك في المشروع التربوي الباديسي الذي اهتم بالبعد الأخلاقي والاجتماعي والنفسي والسياسي والصحي والبيئي عند الإنسان وهذا ما جعله يستحق أن يوصف بالتكامل والشمولية.

لقد كان لابن باديس إذن نظرة متكاملة ركز فيها على الميادين الاعتقادية والقيم الوطنية والتراث التربوي الإسلامي وعلى الاتجاهات الحديثة في التربية، تلك الاتجاهات التي تجعل النشاط التعليمي وسيلة لغاية أسمى من تلقين المعرفة في حد ذاتها.

فتركيز ابن باديس على التعليم وتهذيب النفوس هو الذي جعل نقاده يقولون بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تساهم في الكفاح المسلح واكتفت بالجانب التربوي والإصلاحي للأفراد، متناسين ما نجم عن هذه العملية في نفوس الجزائريين الأحرار.

إن المنظومة الإصلاحية التربوية لابن باديس قد أثمرت أهدافها التي حددها، وأفنى عمره في تحقيقها، وقد تخرج على يديه جيلا من الجزائريين قرآنيين فحفظوا لهذه الأمة دينها الإسلامي الصحيح، ولغتها العربية، والروح الوطنية الجزائرية وهو الجيل الذي تحولت مدارسه إلى خلايا تابعة لجيش التحرير الوطني عند قيام ثورة 1954م.

قائمــة المراجـع والمصـــادر

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

- **كتب اللغة والقواميس:**

كتب علم الاجتماع والتربية:

1.فضيل عبد القادر، **المدرسة في الجزائر**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

2.عبد العزيز سعيد وعطيوي جودت عزت، **التوجيه المدرسي**، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

3.علي سعيد إسماعيل، **الفكر التربوي الحديث**، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

كتب التاريخ والتراجم:

4.الإبراهيمي أحمد طالب، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.

5.الإبراهيمي محمد بشير، **آثار الإمام البشير الإبراهيمي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

6.الإبراهيمي محمد بشير، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة، الجزائر، 2008.

7.بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.

8.الخطيب أحمد، **الثورة الجزائرية دراسة وتاريخ**، دار للملايين، بيروت، 1977.

9.الخطيب أحمد، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

10.المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح**، مذكرات في الجزائر 1925-1954، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

11.المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، دار الكتاب الجزائري، 1963.

12.الورتيلاني الفضيل، **الجزائر الثائرة**، بيروت، لبنان، 1963.

13.دبوز محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة العربية، الجزائر، 1971.

14.سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، الجزء2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

15.سعد الله أبو القاسم، **المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)**، العدد2.

16.سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

17.سعدي عثمان، **عروبة الجزائر عبر التاريخ الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

18.طالبي عمار، **ابن باديس حياته وآثاره**، دار الأمة، الجزائر، 2009.

19.عمارة محمد، **تحديات لها تاريخ**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1982.

20.عمارة رابح تركي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

21.عمارة رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

22.عمارة رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

23.عمارة رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

24.غليسي جوان، **الجزائر الثائرة**، تعريب: خيري حماد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1961.

25.فضيل عبد القادر ورمضان محمد الصالح، **إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس**، دار الأمة، الجزائر، 2010.

26.مراد علي، **ابن باديس مفسر القرآن الكريم**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

27.ناصر محمد، **الصحف العربية الجزائرية**، الجزء1، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1978.

28.آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، جزء4.

كتب منهجية:

29.أنجرس موريس، ترجمة: ماضي مصطفى وآخرون، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، الجزائر، دار القصبة للنشر، ط2، 2004.

30.بوحوش عمار، الذنيبات محمد محمود، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2001.

31.طعيمة رشيد أحمد، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008.

32.غريب عبد الكريم، **منهج البحث العلمي –مقاربة أبستمولوجيا–**، منشورات عالم التربية، البيضاء، المغرب، 1997.

كتب متنوعة:

33.ابن باديس عبد الحميد، **العقائد الإسلامية**، دار الفتح للطباعة والنشر، الشارقة، 1995.

34.ابن باديس عبد الحميد، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، دار الكتب العلمية، 2003.

35.ابن باديس عبد الحميد، **نشرة جمعية التربية والتعليم الإسلامية**، العدد1، 1936.

36.الإبراهيمي محمد البشير، **عيون البصائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.